

الفصل الرابع

كيفية التطوير ومقترحاته في واقعنا المعاصر

التطوير في مناهج الدعوة ووسائلها في الواقع المعاصر

تمهيد:

من الجدير بالذكر أن ننبه إلى أن حديثنا عن تطوير المنهج والوسائل الدعوية في الواقع المعاصر لا يعني أن يكون الحديث مقصوراً على ما يتم اقتراحه من الوسائل الدعوية الحديثة فقط، بل لكي نكون موضوعيين وفي ضوء الحديث عن تجديد الخطاب الديني في الواقع المعاصر لابد أن نبدأ في مسألة التطوير من إعادة النظر في مناهج الدعوة وبرامجها الشامل من خلال إعادة النظر في الوسائل التقليدية التي لا تزال مستخدمة في واقعنا المعاصر، والتي لا يتصور زوالها في يوم من الأيام فما دامت تلك الوسائل لا تزال مستخدمة، وما دامت يرجى لها الاستمرار في المستقبل كذلك فهي وسائل حديثة ينبغي أن ينظر إليها بعين الاهتمام في كيفية تطويرها وجعلها على المستوى اللائق لمعطيات هذا العصر وتحدياته.

إنه لا يليق أن نطيل الوقوف عند الحديث عما يسمى بالشاتنج أو الدردشة على الإنترنت كوسيلة دعوية ونحمل الحديث عن تطوير الخطابة وكيفية مناسبتها للمدعوين المعاصرين بموهمهم المعاصرة وتشكلهم الثقافي والحضاري الجديد.

فلا شك أن وسيلة مثل الخطابة هي أمر أساسي وحيوي ودائم للدعوة لا ينتهي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وذلك لأنها مرتبطة بأصل من أصول الإسلام لا يتصور الإسلام بدونه ألا وهو الصلاة ومرتبطة على الأخص بأهم فريضة من فرائض الصلاة ألا وهي فريضة الجمعة، فإذا كانت الخطبة بهذا الشأن وبحضرها بصفة لازمة جميع المسلمين المصلين بلا استثناء بما في ذلك غير المواظبين على الصلاة منهم، ومن يكتب لهم الهداية بدخول المسجد وأداء الصلاة، فإذا كان أمر الخطبة كذلك فهي أعظم وسيلة دعوية على الإطلاق، فلا ينبغي إهمال الحديث في تطويرها باعتبارها وسيلة دعوية قديمة، والانشغال عنها بالحديث عن وسيلة ثانوية لا يستفيد منها ٥% على الأكثر ممن يستفيدون بهذه الوسيلة الأكثر شيوعاً.

إن التطوير الحقيقي ليس هو مجرد التطوير في الوسائل بقدر ما هو تطوير في منهج

العرض ومحتواه وجعله أكثر توافقاً مع هوم العصر وتحدياته.

كذلك فإنه يجدر بنا التنبيه في هذا التمهيد على أن المقصود من اقتراح وسائل جديدة للدعوة لا ينبغي أن يقتصر مفهومه على إحداث آليات عصرية حديثة؛ إذ إن مسألة التقنيات أو اختراع الآلات أو التقدم التكنولوجي ليست وظيفة الداعي، وإنما وظيفته هي الاستفادة من محدثات الحضارة وإبداعاتها ومنتجاتها التي يمكن أن توظف في الدعوة إلى الله تعالى مع رعاية الشروط والضوابط التي سبق بيانها في الحديث عن ضوابط المناهج والوسائل الدعوية.

ومن ثم فليس المتوقع منا أن نتحدث هنا عن وسيلة أحدث من الإنترنت أو القنوات الفضائية، ونحو ذلك من الوسائل الحديثة والمعاصرة، وإنما المطلوب هو الاجتهاد في كيفية الاستفادة من هذه الوسائل في الدعوة إلى الله تعالى بأفضل الطرق الممكنة وعلى أحسن وجه وأمثله.

ولذا فسوف نرسم هنا خطة شاملة لتطوير منهج الدعوة في جميع وسائله المتاحة في هذا العصر، وهذه الوسائل يمكن حصرها في الأنواع التالية:

أولاً: التطوير في الوسائل البشرية

(إعداد الدعاة)

قد يفيض البعض في الحديث عن الوسائل الآلية للدعوة أو غيرها من الوسائل ويهمل الحديث عن هذا النوع من الوسائل -أعني الوسائل البشرية- التي تعتبر أهم الوسائل الدعوية على الإطلاق، لأننا نعني بها الحديث عن الداعي نفسه، الذي هو أساس هذه الدعوة والمحرك لها والمؤثر الأساسي في المدعوين.

وفي الحقيقة أنه لا يتصور نجاح لدعوة ما لم يكن الداعي مؤهلاً للقيام بهذه الدعوة وحمل أمانتها، وكما أننا إذا أردنا أن نتحدث عن وسائل القوة الحربية، فينبغي ألا يقتصر حديثنا على تطوير الوسائل الآلية أي الأسلحة من سيف وبنادق ومدافع وطائرة.. إلخ، ونهمل الحديث عن المحارب نفسه وهو القوة الأساسية الضاربة والمحركة، فكذلك لا يليق بنا هنا إفاضة الحديث عن الوسائل الآلية للدعوة مثلاً وإهمال

الحديث عن إعداد الدعاة.

ومن ثم فسوف نتحدث هنا عن النقاط التالية:

١- إعداد الدعاة ورفع إمكاناتهم الدعوية.

٢- التوجيه الدعوي للشباب واختصاصهم في مراكز الدعوة الراشدة.

٣- التوجيه الدعوي للمرأة المسلمة، وتفعيل دور المسلمة المعاصرة في الدعوة الإسلامية.

٤- الاهتمام بالتنشئة الدعوية للمسلم الصغير.

فبالنسبة للنقطة الأولى وهي:

إعداد الدعاة ورفع إمكاناتهم الدعوية، يتم الحديث فيها عن النقاط التالية:

أ- رفع الإمكانات الدعوية للدعاة العاملين.

ب- توفير جميع فرص الرعاية المادية والعلمية والصحية... إلخ هؤلاء الدعاة.

وفيما يلي تفصيل الحديث في هذه النقاط، وما ينبغي من التطوير اللازم لها:

أولاً: رفع الإمكانات الدعوية للدعاة العاملين:

١- زيادة الوعي الثقافي لدى الدعاة بظروف واقعهم وأحوال المدعوين فيه.

سبق أن تحدثنا عن الصفات اللازمة للدعاة إلى الله أو التي يجب توفرها في هؤلاء الدعاة، وثلنا إن من بين هذه الصفات اتصافهم بصفة العلم ونحب أن نزيد الأمر بياناً فيما يتعلق بتطوير الدعاة كجزء من خطة التطوير في الدعوة ووسائلها في هذا المبحث من خلال هذه النقاط:

أ- العلم بالواقع يفيد في تحديد المنهج والوسيلة الدعوية المناسبة.

ينبغي ألا يقتصر مفهومنا لصفة العلم على إحراز العلم الشرعي فقط بل إن العلم أو الفقه الحقيقي لا يحصل للداعي أو الفقيه إلا باجتماع أمرين لا بد لهما منهما:

الأول: العلم بالواقع.

الثاني: العلم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة.

فالفقيه لا يستطيع أن يفتي في واقعة ولا أن يصدر حكماً شرعياً فيها إلا بعد معرفة

واقع المسألة وظروفها وملابساتها بما يجلي غوامضها ويكشف حقيقتها.
وكذلك الداعي إلى الله تعالى لا يستطيع أن يتخذ المنهج والوسيلة الدعوية المناسبة،
ولا أن يتخذ موقفًا دعويًا أو طريقة دعوية في بيئة ما إلا بعد الإحاطة التامة بظروف هذه
البيئة ومعرفة أحوالها والإحاطة بها من جميع جوانبها.

ب- العلم بالواقع يؤدي إلى ضبط انفعالات الداعي تجاه مجتمعه.

ومن ثم فالداعي الذي يعتزل الناس ويرفع عن مخالطتهم، أو يعتبر الاطلاع أو السماع
لما في الواقع من صور الفساد والانحلال مثلاً نوعاً من اللغو أو الرفث ينبغي أن يتره عنه،
أو يقاطع دنياهم ومعاملاتهم لأدنى شبهة تعرض له دون الإحاطة بملابسات الأمور، لاشك
أن مثل هذا الداعي سوف يكون قاصر النظرة والإدراك بالنسبة لظروف مجتمعه وأحوال
المدعويين فيه، وينتج عن ذلك أن هذا الداعي إما أن يصور مجتمعه بصورة أقبح مما هي
عليه، ومن ثم يشتد نكيره عليه، ويتجههم له بلا طائل، أو يعتقد عموم الفساد وأنه لا
سبيل للإصلاح فيشبطه ذلك عن دعوته ويقعده عنها.

أو يكون العكس بأن يتصور مجتمعه دون ما هو عليه من التسيب والانحلال فيكون
مفرطاً في التفاؤل، مهوئاً للأمر، معتقداً أن الأمور بخير، وأن السيل ما بلغ الزبي، وأن
الأمر لا يحتاج إلى الاشتداد في النكير والإفراط فيه؛ بل يزداد الأمر إلى تحطئة غيره من
الدعاة فيعدهم مغالين مفرطين، أو يرى أن مثل هذه المنكرات مما يسعه وأمثاله السكوت
عنها وتخفيف اللهجة فيها، أو أنها مما يسعه اختلاف الناس ونحو ذلك.

والمقصد أن نبين أن جهل الداعي بواقعه قد يؤدي به إما إلى الإفراط أو التفريط في
انفعالاته تجاه هذا الواقع، فإما أن يشتد في النكير في أمور هي أهون مما يتصور، وإما أن
يتهاون في إنكار الأمور إلى حد تضييع حدود الله تعالى وإشاعة التسيب والاستهانة بها.

ج- العلم بالواقع يؤدي إلى حسن تقبل المدعويين للداعي وعدم النفرة من خطابه
وذلك أن الداعي الذي يعتزل الناس ويجهل شئوهم وما استجد فيها من محدثات سيظل
حديثه بدائياً بعيداً عن حياة الناس وواقعهم مما يؤدي إلى النفرة منه وعدم قبوله.

فعلى سبيل المثال الفرضي الجدلي لو أن داعياً يذكر الناس بنعم الله تعالى فقال لهم:

انظروا كيف جعل الله تعالى لنا هذه الأكواخ التي تستر عوراتنا وتحمي أجسادنا من الحر والبرد، لكان أضحكة للسامعين، أو وعظهم في باب الربا فنهاهم عما وجده في كتب الفقه من صورته القديمة في ربا الفضل مثلاً على فرض أنه غير شائع في مجتمعه وواقعه فيقول لهم مثلاً: أيها الناس اتقوا الربا: لا تبيعوا قمحاً بقمح ولا تمرًا بتمر إلا يداً بيد، وتكون هذه الصور من المعاملات غير شائعة لديهم أو غير معمول بها في واقعهم... وهكذا.

أو يذكر في حديثه ما مثل به الفقهاء في كتبهم من واقعهم القديم مما لا يوجد في كثير من البيئات أو لا يشيع فيها، فكل ذلك يجعله أضحكة للناس أو وسيلة للتندر.

د- العلم بالواقع يؤدي إلى معرفة أقرب المداخل إلى قلوب المدعويين وعقولهم وذلك أن الداعي الذي يكون على وعي بما جدّ في مجتمعه من المذاهب الفكرية، والاعتقادات والاتجاهات ونحو ذلك يكون أكثر قدرة على فهم نفسية المدعويين، ومعرفة أقرب المداخل إلى نفوسهم بحيث يكون لحديثه قبولاً ووقفاً في نفوسهم.

وسبق أن أكدنا على ضرورة التماثل أو التقارب الثقافي بين الداعي والمدعوي حتى يتم التفاهم والتواصل الفكري بينهم، وقلنا إن ذلك كله يتضمن النص على التماثل اللغوي أو اللساني في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(١) حيث بينا كيف أن اللسان واللغة يتسع ليشمل الفكر وثقافة العصر؛ وذلك لأن اللغة هي وعاء الفكر كما يقولون.

٢- زيادة الخبرات في الاستفادة من معطيات العصر في الدعوة إلى الله تعالى:

مع هذه الثورة العلمية والصناعية الهائلة في مختلف التقنيات وخاصة وسائل الاتصالات لابد من تنقيف الدعاة وحثهم على الاستفادة من هذه الوسائل. ولا بد أن يزيد الأمر على مجرد الحث، وذلك عن طريق تنظيم الدورات المتخصصة في

(١) إبراهيم: ٤، وانظر توجيه الشيخ يوسف القرضاوي للآية فإنه مفيد هنا، انظر كتاب تيسير الفقه للمسلم المعاصر - (١٦)، مكتبة وهبة.

الإفادة من تقنيات العصر كالحاسوب والشبكة العالمية (الإنترنت)، وتعلم اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات التي فرضت نفسها على واقع الناس اليوم ومجالاتهم الحياتية المختلفة، فضلاً عن تعلم لغات الأقوام الذين تتوجه إليهم الدعوة.

وينبغي أن توفر النفقات والمكافآت للمتفوقين في هذه الدورات.

٣- الإحاطة بقضايا العصر وتحدياته وهموم الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر، لا بد من حث الدعاة وتوجيههم نحو معرفة قضايا عصرهم والإحاطة بها. ويمكن تنظيم الدورات التثقيفية أو المحاضرات والندوات والمؤتمرات التي يشارك فيها كبار العلماء والدعاة، ويدعى إليها عموم الدعاة للإفادة والإحاطة بهذه القضايا.

وقد سبق بيان عدد كبير من هذه القضايا في مبحث سابق ممهّد لهذا المبحث تحدثنا فيه عن المؤثرات في واقع الأمة اليوم وعن أهم قضايا العصر وتحدياته.

ب- توفير جميع فرص الرعاية العلمية والمادية والصحية... إلخ لهؤلاء الدعاة.

إذا كانت الحكومات والشعوب جادة في العمل على تطوير الدعاة بما يتفق مع معطيات العصر وتحدياته؛ فإن عليهم أن يقدموا لهؤلاء الدعاة الدعم المادي والعلمي والصحي... إلخ بما يهيئ هؤلاء الدعاة للقيام بمهمتهم على أكمل وجه ويتيح لهم فرصة التفرغ للقيام بمهام الدعوة والإعداد لها والأخذ بأسباب التطوير والتقدم، فلا شك أن للتطوير تبعاته واحتياجاته وتكاليفه مما لا يقدر عليه كثير من الدعاة.

فعلى سبيل المثال لا بد من توفير المكتبة الإسلامية القيمة، ولا بد من توفير جهاز حاسوب لكل داعٍ متميز، فضلاً عن تقديم الدعم المادي الكافي حتى لا يفتن الداعي أمام مغريات الحياة أو ينحرف عن سبيله تحت وطأة شدة العيش وشظفاه، ولا ننسى أن الداعي كلما أعطى للدعوة كلما طلب منه إعطاء المزيد، فكثير من الدعاة لا يجدون متسعاً من الوقت لقضائه مع أهليهم وأولادهم، فأوقاتهم موزعة ما بين خطبة ومحاضرة وندوة ودرس علم وإجابة مستفت، وإصلاح بين متخاصمين، ونظر في مهمات الأمور، فإذا كان راتب الداعي لا يكفي لتوفير لقمة العيش الضرورية له ولأولاده كما في كثير من البلدان العربية فكيف يتصور منه أن يتفرغ لمهام الدعوة المذكورة، فضلاً عن الحديث عن تطوير نفسه

ودعوته على الوجه اللائق؟!

إن المقابل الشهري الذي يحصل عليه خطيب الجمعة في بلد كبير مثل جمهورية مصر العربية هو ما قيمته ٤٠ ج أربعون جنيهاً يخضم منها الضرائب ونحو ذلك، أي يكون المقابل المادي عن الجمعة الواحدة أقل من عشرة جنيهاً، فهل مثل هذا المبلغ الزهيد، وتلك الدراهم المعدودة تفي بإمكانات الداعي العديدة؟

وعلى سبيل المثال أيضاً فإن راتب إمام المسجد الحاصل على شهادة عليا من الأزهر الشريف لا تتجاوز مائتي جنيه شاملة مكافآت الخطب والدروس والإمامة والحوافز والبدايات وغير ذلك، أي أن أصل راتب هذا الإمام الداعي مع شدة العيش وشظفه وقسوته قد لا يزيد عن خمسة جنيهاً مصرية في اليوم فما عسى أن يغني ذلك عنه؟ وهل يكفيه ذلك لإحراز الملح والخبز الجاف له ولأولاده؟

هذه أمور ينبغي أن تدرس جيداً، وأن يعتني بها جيداً إذا كنا بصدد إصلاح حقيقي للدعوة وللدعاة؛ إذ إن كثيراً من أئمة المساجد لا يحضرون الصلوات في مساجدهم فضلاً عن أن يقوموا بالدعوة والإرشاد والتوجيه منشغلين بتحصيل لقمة العيش في مكان آخر، ويعذرهم المصلون لذلك في غيابهم لما يعلمون من حالهم.

أو يبقى الإمام في المسجد ويتسول على المصلين أو يمد يده لصندوق المسجد أو يعيش على الصدقات والزكوات في حال يزري به ويسقطه من أعين الناس لشعورهم بحاجة إلى إحسانهم ويجعله في موقف ضعيف من تبليغ الحق للناس لشعوره بحاجة إلى إحسانهم كذلك.

٢- التوجيه الدعوي للشباب واحتضانهم في مراكز الدعوة الإسلامية وتفصيل ذلك في

النقاط التالية:

أ- العناية بنشر الوعي الدعوي لدى الشباب.

ب- إنشاء المراكز الدعوية المتخصصة على المستويين النظري والتطبيقي.

ج- التوسع في إنشاء المساجد، وتفعيل رسالة المسجد ووظيفته الدعوية.

د- العمل على احتضان الشباب وتدريبهم على الدعوة في تلك المراكز والمساجد.

وهاكم تفصيل الكلام في هذه النقاط:

أولاً: العناية بنشر الوعي الدعوي لدى الشباب:

هذه النقطة غاية في الأهمية، خاصة أن الشباب في كثير من البلدان العربية والإسلامية يعتقدون أن بلادهم تخارب الدعوة الإسلامية وتضطهدها، ومن ثم ينقلبون حرباً عليها، فضلاً عن أن لدى هؤلاء الشباب طاقات هائلة، ورغبات شديدة في نشر الدعوة الإسلامية والعمل على إصلاح مجتمعاتهم، فإذا لم يجدوا من أهل الدعوة الراشدة من يأخذ بأيديهم ويفسح لهم المجال للدعوة إلى الله تعالى، بعد العمل على توجيههم وإعدادهم الإعداد الكافي، فإنهم سيتجهون لا محالة للاتجاهات المنحرفة أو المتطرفة التي تطفح بها الساحة في كثير من تلك البلدان.

ومن ثم يتحتم على المسؤولين عن الدعوة أن يفتحوا قلوبهم وأيديهم لهؤلاء الشباب، وأن يكونوا صادقين في أمر الاهتمام بالدعوة الإسلامية بحيث يكونون محل ثقة لدى هؤلاء الشباب فيستجيبون لهم ويستمعون لداعي العقل والحكمة من مشايخ الدعوة وعلمائها الواعين الراشدين.

وتظهر حسن النوايا الدالة على صدق المسؤولين في هذا الأمر بأن يعملوا على توجيه الشباب نحو الاهتمام بالدعوة الإسلامية على علم وبصيرة وفقه بالواقع وتقدير لأمانة ومسئولية هذا الأمر العظيم وتبعاته، فذلك أجدى كثيراً من سياسة تكميم الأفواه، وتكبييل الأيدي المتبعة في كثير من البلدان، والتي أدت إلى عدم الثقة بالدول والعلماء والدعاة المعينين من قبل الحكومات الذين صار نعتهم لدى هؤلاء الشباب بعلماء السلطة أو دعاة السلطة، فلا يستجيبون لهم، ولا يعطونهم ثقتهم، وهم لهم قدر كبير من العُذر في ذلك لما يرون من تجهّم هؤلاء الدعاة والعلماء في وجوههم، فضلاً عما يلاقون من كبت حرياتهم، والأخذ على أيديهم وأفواههم واضطهادهم أشدّ الاضطهاد من قبل كثير من الحكومات لا شيء سوى أنهم رغبوا في إعلاء كلمة الله تعالى ونشر دينه والدعوة إليه، وإن سلكوا في ذلك سبلاً ليست بالقويمة المعتدلة؛ فإن على هذه الدول والحكومات يقع العبء الأكبر بسبب عدم احتضانهم لهؤلاء الشباب وتمكينهم من

أداء هذه الرسالة الشريفة على الوجه الأكمل.

ثانياً: إنشاء المراكز الدعوية المتخصصة على المستويين النظري والتطبيقي:

من علامات صدق النية في الاهتمام بشأن الدعوة مما يجعل الشباب أكثر إقبالاً على المسؤولين عن الدعوة الراشدة التوسع في إنشاء المراكز الدعوية المتخصصة التي تعمل على إعداد الدعاة وفق أحدث المناهج الدعوية المتطورة، هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية التطبيقية فينبغي أن تقوم تلك المراكز كذلك بتدريب هؤلاء الدعاة وإرسالهم للدعوة في بيئتها ومكانها بحيث يقوم هؤلاء الشباب بالتدرب على إلقاء الخطب والدروس ودعوة الأفراد والجماعات تحت عين المسؤولين وتوجيههم التوجيه الصحيح الذي يقوم بتصحيح الأخطاء وضمان عدم تكررها والوصول بالداعي إلى اكتساب أساليب الدعوة القويمة الراشدة بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثالثاً: التوسع في إنشاء المساجد كذلك، وتفعيل رسالة المسجد ووظيفته الدعوية:

ينبغي التنويه ابتداءً بأن مجرد وجود المسجد في مكان ما، فإنه يمثل نوعاً عظيماً من الدعوة التلقائية، فبيان المسجد نفسه دعوة إلى الصلاة وإغراء بها، والنداء إلى الصلاة عن طريق الأذان خمس مرات كل يوم هو أعظم دعوة للإقبال على الله تعالى. وقد تكثر المساجد في مكان ما، ويعجب الإنسان حينما يمر عليها وقت صلاة الجمعة مثلاً فيجدها جميعاً قد امتلأت عن آخرها ولو بُني بجوارها مساجد أخرى لوجد أنها تمتلئ كذلك.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن المسجد إنما يغري المسلمين بعمارتها، أو أن الله قد تكفل بأن تعمر مساجده وتملأ بزوارها وعبادها. وأياً ما كان الأمر فإن المسجد وسيلة عظيمة للدعوة إلى عبادة الله تعالى والالتزام بمنهجه.

وإذا كنا بصدد الحديث عن التطور، فإننا نقرر أن التطور الحقيقي هو الذي يبلغ بالدعوة أهدافها وغايتها ويقرب المسلمين من العصور الأولى ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

والملاحظ بالنسبة للمسجد الآن أنه قد انخسرت رسالته في كثير من ربوع المسلمين
وبلادهم حيث اقتصرت وظيفته على مجرد إقامة الصلاة.

ومعلوم أن المسجد كان له رسالة عظيمة في الصدر الأول بينها الكتاب الكريم
والسنة النبوية الشريفة قولاً وعملاً وسار على هذا النهج أصحاب النبي ﷺ والتابعون
من بعدهم.

فالملاحظ أن المسجد في العصر النبوي كان مكاناً للعبادة ومدرسة للتعليم، وداراً
للتربية وإعداد الدعاة، وصندوقاً للكفالة الاجتماعية، وداراً للمناسبات الاجتماعية ونادياً
للرياضة، ومجلساً للحكم والشورى، ومركزاً للقيادة الحربية وتجهيز الجيوش.
إذاً فهو مصدر إشعاع للنور والعلم والدعوة والحضارة فهو يمثل الدعوة الإسلامية في
أكمل صورها وأتمها.

ولذا نقول إن الدعوة الإسلامية اليوم لا يمكن أن تبلغ غايتها المنشودة وتحقق الآمال
المرجوة منها ما لم تعد للمسجد رسالته الأولى التي تحققت كاملة في عصر النبوة والعصور
التالية.

رابعاً: العمل على احتضان الشباب والاهتمام بهم وتشجيعهم على الالتحاق بتلك
المراكز:

على المهتمين بالدعوة والمسؤولين عنها أفراداً وحكومات أن يعملوا على احتضان
الشباب، واعتبار تلك الرغبة الشديدة لدى الشباب في الدعوة إلى الله تعالى ظاهرة صحية
تبشر بالخير تحتاج إلى الرعاية والتدريب وإعطائها الفرصة الكافية كي تأتي بشمارها
وأكلها.

ويستحق ذلك بتوجيه هؤلاء الشباب نحو تلك المراكز الدعوية والاحتفاء بهم، وتقلع
الرعاية العلمية والمادية لهم التي تكفل لهم الصبر على تعلم علوم الدعوة وفنونها والتمرس
بها وتطبيقها على أمثل وجه وأكمل.

٣-التوجيه الدعوي للمرأة المسلمة، وتفعيل دور المسلمة المعاصرة في الدعوة

الإسلامية:

ويشمل النقاط التالية:

أ-العناية بالتوجيه الديني للمسلمة المعاصرة:

بيننا فيما قبل أهمية المرأة في المجتمع الإنساني عموماً والإسلامي منه صفة خاصة، والحقيقة أن المرأة ليست ذات أهمية ثانوية، ولا تلعب دوراً واحداً وإنما أدواراً عديدة ومن الأهمية بمكان، فهي أم وزوجة وبنت وأخت وفي كل حالة من حالات المرأة هذه وفي ظل طر من أطوارها تلعب أدوراً عدة، وتؤديها بكفاءة لا يستطيعها الرجال؛ لأنهم لم يخلقوا لذلك فلا يستطيعونه وخلقت له المرأة فهو سهلٌ ميسر لها.

أما في المجتمع الإسلامي فإن المرأة أبرز دوراً وأعظم؛ لأنه المجتمع الذي يأخذ كل واحدٍ فيه حقه ويؤدي دوره، فلا تأخذ امرأة دور الرجال بدعوى المساواة التي هي في حقيقتها دعوة إلى الندية، ولا يقعد الرجال قعود النساء فتضيع الأمم وتنهار النظم الربانية. من أجل ذلك كله كان لابد من معرفة المرأة ومعرفة الرجل أيضاً -حقوق وواجبات الرجل والمرأة، أدوار كل واحدٍ منهما حتى يضطلع كل منهما بما كلف به وما خلق من أجله.

ولقد اشتمل الإسلام على كل واجبات وحقوق المرأة فاصلا في ذلك بين ما تتساوى فيه المرأة مع الرجل كالثواب والعقاب ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾^(١)، وما ينفرد فيه كل واحدٍ منهما بحكم فغن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ قال: نعم عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة". فبين النبي ﷺ أن الجهاد أنواع منها القتال ومنها الحج والعمرة، وأن النساء يشتركن في الحج والعمرة مع الرجال ولكنهن لا يتحملن القتال؛ لأنهن لا يطقنه.

(١) النساء: ١٢٤.

وإذن فعلى المرأة ألا تنطلع إلى أدوار الرجال لأن في ذلك تضييعاً لدورها الذي تشغل عنه ولا يستطيعه الرجال، وتضييعاً لدور الرجل الذي لا تستطيع هي أدائه بنفس كفاءة الرجل، وهي مع ذلك تحجب الرجل عن دوره فيفسد المجتمع كله بسبب تبادل الأدوار هذا.

إذن فعلى المرأة -وهذا هو موضوعنا- أن تتعلم ما هو دورها بالضبط وألا تتخلى عنه، وألا تقلد الساقطات والمسترجلات في حضارة الغرب من اللاتي لا همّ لإحادهن إلا التزين والتغنج لفتنة الرجال وإفساد المجتمع، فإذا ما كانت طموحاً وأصبحت أن تفعل شيئاً اختارت أصعب الأدوار لتنافس فيها أصحاب الإرادة والعضلات كي تثبت أنها مثلهم، ولا يرضى الله تعالى ولا أحد من الناس أن تكون المرأة كالرجل في كل شيء، وهذه المرأة المتبرجة والمسترجلة تضيع واجبها فلا تصلح زوجة ولا أما ولا أي شيء صالح^(١).

ثم إنه ليس من منهل تنهل منه المرأة معرفتها بنفسها وبغيرها وبدورها أعظم ولا أحظى من الإسلام ذلك الدين الذي رضى له والناس خالقها وخالقهم تعالى.

"لقد اتخذ الإسلام مبدأ توزيع العمل إلى حد ما لأجل تحديد إطار عمل الجنسين في الحياة الاجتماعية؛ فدائرة نشاط الرجل من حيث المبدأ تقع خارج البيت، بينما دائرة نشاط المرأة تقع داخل البيت أساساً، ولم يتم هذا التوزيع بدافع من التمييز بين الجنسين، بل هو مراعاة لمميزاتها الجنسية، ولإيجاد المناخ اللازم لأجل أن يستخدم كل منهما مواهبهما الطبيعية على الوجه الأكمل، وبدون إحداث أي خلل في نظام الأسرة أو المجتمع، وبعبارة أخرى: لقد أخذ بهذا التباين في الاعتبار على أساس "ترتيبات إدارية" وليس لأجل تحديد أولوية جنس على الآخر..."^(٢).

(١) راجع محمد إسماعيل المقدم: عودة الحجاب - دار العقيدة - الإسكندرية - الطبعة الرابعة - (١٤/٢) -

(٢٢)، وحفصة أحمد حسن: أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - (ص ٦١٢)، ما بعدها، (ص ٦٤٠) وما بعدها.

(٢) وحيد الدين خان: المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية - ترجمة السيد رئيس أحمد الندوي - دار الصحوة ودار الوفاء - ط سنة ١٩٩٤م - (ص ١٦٢).

ب- تفعيل الدور الدعوي للمسلمة المعاصرة:

إذا وعّت المسلمة الحقائق السابقة فإنها حينما تدعو إلى الإسلام سوف تدعو لما يفيد عبر ما يفيد، وسوف تلتزم بالنافع من الوسائل دون الضار منها؛ لأنها قد التزمت ذلك في بيتها ومع ذويها:

أولاً: بث الوعي الدعوي لدى نساء المسلمين:

وينبغي أن تعرف المرأة أنها مسئولة عن نشر الدعوة إلى الله مثل الرجل، فنشر الإسلام مسئولية كل المسلمين رجالاً ونساءً مثل العمل به تماماً، ولكن تدعو المرأة في حدود قدرتها وطاقاتها وفي نطاق تواجدها، وإذن فعلى الدعاة أن يستهدفوا المرأة بالدعوة كما يستهدفون الرجال، ولأن ذلك سبيل إلى دعوة الرجال مثلما هو سبيل إلى دعوة النساء؛ لأن النساء هن أول من يث في أبنائهن الخير أو الشر كل بحسب ما عنده من الخير والشر، وتتنوع أساليب ووسائل أساليب الدعوة للمرأة المعاصرة ومنها:

- ١- الكتب العامة.
- ٢- الكتب الدراسية.
- ٣- الأسرة.
- ٤- السينما والمسرح.
- ٥- الصحافة.
- ٦- الأقمار الصناعية... إلى غير ذلك من الوسائل^(١).

ثانياً: تبصير المرأة بوظيفتها في الاستفادة من معطيات العصر ومواجهة تحدياته:

الناظر في العصر الحاضر يجد أن المرأة المسلمة مستهدفة من أجل إفسادها ليفسد المجتمع المسلم، ولذا فإن عليها أن تبصر أمرين الأول: ألا تنساق وراء ما يراد لها من التعري والسفور والخروج والتهاك.

والثاني: أن تدفع ذلك عن أبنائها وذويها، ونضرب لذلك مثلاً واحداً بأجهزة

(١) راجع في تفصيل ذلك حفصة أحمد حسن: السابق- (ص ٣٢٠-٣٣٢).

الحاسوب وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) التي تبث ليل نهار أخلاقاً وكلاماً ماجنين مفسدين مستغلة في ذلك الساقطات والساقطين والداعرات والداعرين الذين ما أكثرهم في المجتمع الآن سواء المسلم أو غير المسلم، فعلى المرأة أن تفتن لما يراد بها ومنها بشأن هذا وعليها أن تراقب ذويها وخاصة أبناءها فلا تدعهم هبة لهذا السقوط المريع^(١).

ثالثاً: انتشار المراكز الدعوية النسوية المتخصصة في الدعوة النسائية:

مساهمة في نشر الدعوة بين النساء، يجب الإكثار من نشر المراكز الدعوية النسائية؛ حيث يتم العمل والتنسيق بين النساء من أجل النهوض بالعبء الدعوي بين النساء، فما زال هذا المجال بحاجة ماسة لإيجاد النساء الداعيات اللاتي يربين النساء، فالمرأة أقدر على تعليم المرأة وتوجيهها، ولنا في السيدة عائشة وسائر نساء النبي ﷺ الأسوة الحسنة. ويجب أن يتم التواصل بين هذه المراكز الدعوية بعضها مع بعض، حتى لا تكون الجهود المبذولة ضائعة، فالتنسيق بين المراكز الدعوية يعمل على إبراز العمل الدعوي على أكمل وجه والاستفادة منه إلى أقصى حد.

٤- الاهتمام بالتنشئة الدعوية للمسلم المعاصر

وذلك بالآتي:

أولاً: بث الروح الدعوية لدى الأطفال من الصغر:

ثانياً: إدخال مادة الدعوة الإسلامية ضمن الأنشطة الدراسية في مراحل التعليم المختلفة.

أما بالنسبة للنقطة الأولى فينبغي أن يكون للأسرة دور فيها بتنشئة الأطفال تنشئة دينية قوية ثم يعلموهم ويعودوهم نشر الخير وتعليمه، فمثلاً إذا علمه الصلاة، أمره وأوصاه أن يدعو إليها زملاءه وأصدقائه ويحثهم عليها، وأنه إذا رأى شيئاً مما يعرف حرمة يعرض عنه ويعظ فاعله إن كان صغيراً مثله، كما لو سمع زميله يكذب أو يسب أو يشتم ونحو ذلك.

(١) راجع الشيخ المقدم - عودة الحجاب - (١٩/٣-٢٢).

وبهذا يتربى الطفل على محبة الدعوة الإسلامية ويتم هذا الأمر ويحسه بأن يلقي الطفل الحكمة في الدعوة على قدر فهمه، فيوصي بأنه إذا دعا أحداً من أصدقائه إلى شيء من الخير أن يتلطف معهم، وأن يدعوهم برفق وأدب، وكذلك إذا نهي عن شيء من الشر ينهي عنه برفق ولطف بغير حق ولا قهور، وبهذا يتعود الطفل من صغره ضبط مشاعره والتحكم فيها في الدعوة إلى الله فلا يترتب على دعوته شيء من المفاصد والأضرار.

أما بالنسبة للنقطة الثانية فترجع إلى ضرورة اهتمام الدول والحكومات بإدخال الوعي الدعوي لدى التلاميذ منذ الصغر، وذلك بإضافة مادة للدعوة الإسلامية ضمن مواد الأنشطة الدراسية التي لا تضاف لمجموع الطالب يكون الغرض منها تعويده الدعوة إلى الفضيلة والخير والنهي عن الرذيلة والشر بالحكمة والموعظة الحسنة ويتم فيها تعليمه آداب الدعوة وصفات الداعي إلى الله تعالى وضرورة الحكمة فيها، وما ينبغي أن يتحلى به الداعي من الأخلاق والآداب بحيث يثمر ذلك دعوة راشدة.

ولعمرك الله تعالى إن هذا هو السبيل لإغلاق الباب في وجه الدعوات المنحرفة والغالية والتي تؤدي إلى ويلات شديدة تعاني منها البلاد والعباد، وهو السبيل كذلك إلى احتضان الشباب المسلم وكسب ثقتهم، وحسن توجيههم، بحيث يكون ذلك بمثابة صمام الأمان الذي يحول دون انحراف الشباب نحو تلك الدعوات الغالية.

ثانياً: الوسائل المادية:

مما ينبغي العناية به ونحن بصدد التطوير في منهج الدعوة ووسائلها أن نعني بالجانب المادي بالنسبة لأمر الدعوة في ذلك في جانبين:

١- القوة الاقتصادية ٢- القوة العسكرية

ويدخل تحت القوة الاقتصادية النقاط التالية:

أ- موارد الدعوة ويشمل:

١- دعم الأجهزة الحكومية.

٢- فتح باب التبرع والمساهمة.

٣- قبول الزكاة.

٤- المشروعات الإسلامية والخدمات الاجتماعية.

ب-مصارف الدعوة:

١- تأليف القلوب ويشمل:

أ-دعوات الحج والعمرة

ب-المساعدات والخدمات

ج-مصارف الزكاة

د-اهدايا الدعوة المجانية

٢-المسابقات الدينية.

٣-قوافل الدعوة.

٤-المؤتمرات والندوات.

٥-الأغراض العلمية والتعليمية:

أ-إنشاء المكتبات الدينية

ب-طباعة الكتب والرسائل الدعوية.

د-طباعة الأشرطة الدينية

٦-الزيارات والرحلات.

٧-بناء المساجد وتجهيزها.

٨-إنشاء المراكز الدعوية والإنفاق على برنامجها الدعوي.

٩-الخدمات الاجتماعية كالإعانة في تزويج الشباب.

١٠-المشروعات الإسلامية المختلفة حيث تتسع مصارف الدعوة للإنفاق على كافة

الوسائل الدعوية والبرنامج الدعوي في كافة صوره وأشكاله والعمل على تحسين أدائه وتطويره بما يحقق الغاية منه.

ولنبداً أولاً بتفصيل الحديث عن:

موارد الدعوة:

١-دعم الأجهزة الحكومية:

ينبغي على الحكومات الإسلامية أن تقدم الدعم المادي الكافي لتطوير الدعوة، وهذا يشمل العناية بالدعاة وحسن رعايتهم، كما يشمل كذلك بناء المساجد والمراكز الدعوية، ويشمل كذلك دعم جميع أنشطة الدعوة الإسلامية، وذلك بتخصيص المبالغ الكافية لها في

موازنة الدولة، والتي تودع في رصيد وزارات الدعوة والإرشاد والأوقاف وتوزع على سائر الجمعيات الخيرية العاملة في مجال الدعوة الإسلامية بحسب حجم نشاطها ومدى تأثيره في المجتمع.

ولاشك أن هذا الدعم سيؤدي حتما إلى تحسين الجهود الدعوية وتطوير الأداء الدعوي لأنه سيمكن من اقتناء وسائل التقنية الحديثة المفيدة في مجال الدعوة، كما سيمكن من رصد الجهود البشرية وحبسها لهذا العمل الشريف.

٢-فتح باب التبرع والمساهمة:

وهذا أمر حاصل ولكنه يحتاج إلى شيء من الضبط والتنظيم بحيث لا تضع هذه الأموال هباء أو تقع في أيدي من يستغلها لمصالحه الشخصية أو لأغراض أخرى غير مقاصد الدعوة، فيحتاج الأمر إلى إشراف جهات رقابية مختصة، مع التوسع في هذا الأمر بضوابطه وقبوده التي تضمن الاستفادة منه في مصالح الدعوة وتطوير وسائلها ودعائها ومما يقترح في هذا الصدد تشجيع البنوك والمصارف الشرعية ومؤسسات الزكاة والبر والجمعيات الخيرية والأوقاف والدعوة والإرشاد ومجمعات البحوث الإسلامية وغيرها على فتح باب التبرع من المحسنين وكبار الشخصيات والأمراء وفاعلي الخير من عموم الأفراد للمشاركة في تقديم المساعدات المالية أو العينية المختلفة لطباعة الرسائل الدعوية النافعة والأشرطة وتوزيعها بالجمان على عموم المسلمين عن طريق المساجد والأندية والمؤسسات والجمعيات الخيرية أو المساهمة في المشروعات الخيرية لكفالة اليتيم وتحفيظ القرآن وغيرها من المشروعات التي سبق الإشارة إليها.

٣-قبول الزكاة:

لا مانع من تخصيص قدر من أموال الزكاة للدعوة إلى الله تعالى بما لا يضر بمصالح الفقراء، وذلك لأن للزكاة مصارف نص الله تعالى عليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

(١) التوبة: ٦٠

فقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يتسع لكل مصارف الدعوة الإسلامية وكل سبلها ووسائل تطويرها وإصلاحها، فلا شك أن ذلك كله يندرج أول شيء تحت قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

٤- المشروعات الإسلامية والخدمات الاجتماعية لا مانع أن تقوم الجمعيات الخيرية الدعوية بإدارة عدد من المشروعات الإسلامية والخدمات الاجتماعية التي من شأنها ربط الناس بمراكز الدعوة خاصة إذا ما اقترنت هذه المشروعات بالمساجد أو جاورتها وذلك مثل مكاتب تحفيظ القرآن الكريم والمستشفى الإسلامي، وفصول محو الأمية، وفصول التقوية لتلاميذ المدارس الفقراء وتشغيل الفتيات الفقيرات في أعمال تليق بهن ونحو ذلك من الخدمات الاجتماعية المطلوبة التي تسعد أبناء المسلمين وتوطد صلتهم بالمسجد وبذلك المراكز الدعوية.

والحق أن مثل هذه المشروعات والخدمات قد أثبتت جدواها وفائدتها في كثير من المساجد والمراكز الدعوية لما لمسوه فيها من التيسير المادي على الناس، وتخفيف الأعباء عنهم، وظهور القيم والمبادئ والآداب الإسلامية، وظهور سماحة الإسلام ونحو ذلك من الأمور التي من شأنها أن تحبب الناس في الالتزام بالإسلام والاقتراب من دعائه وحماته.

ب- أما عن مصارف الدعوة:

فهناك قائمة من المصارف التقليدية مثل تقديم المساعدات والخدمات من الزكوات والصدقات للفقراء والمحتاجين^(١) والإنفاق على المشروعات الدعوية المختلفة التي سبق الإشارة إليها مثل بناء المساجد والمراكز الدعوية ومثل الإنفاق على قوافل الدعوة والمؤتمرات والندوات والمكتبات الدينية وطباعة الكتب والرسائل الدعوية والأشرطة الدينية... إلخ.

وثلثة اقتراحات بتطوير بعض هذه المصارف أو الاهتمام بتوجيه الإنفاق عليها فمن

(١) الاهتمام بمساعدة الفقراء والمساكين سبيل عظيم من سبل الدعوة إلى الله تعالى وللشيخ رضا صمدي كلام بديع في هذا الصدد حيث جعله إحدى طرق خدمة الدين فانظره في الطريقة الخامسة والعشرين في كتابه (ص ٣٠٤-٣١٠) ثلاثون طريقة لخدمة الدين- ط دار المؤيد- الرياض، ودار الفهد بجدة- ط ٢٠٠١م.

ذلك:

١- أن يخصص جزء من هذه المصارف للإئفاق على تقديم دعوات مجانية بالحج أو العمرة لكبار الشخصيات المؤثرة في المجتمع والذين يرجى من صلاحهم النفع والخير الكثير لعموم تأثيرهم وذلك مثل: الفنانين والفنانات، والإعلاميين، والرياضيين وأساتذة الجامعة، والكتاب والأدباء والشعراء وذوي المناصب المهمة والمرموقة في مختلف البلدان، فيمكن على سبيل المثال أن توجه إدارة الدعوة والإرشاد بالملكة دعوات بالحج أو العمرة إلى كبار الشخصيات من الفنانين والفنانات والإعلاميين والرياضيين وذوي المناصب المهمة وغيرهم ممن تشغلهم غمرة الحياة وتلهيهم عن الغاية التي خلقوا لأجلها أو تجعلهم ينحرفون برسالتهم عن تلك الغاية.

وستكون هذه الدعوات بمثابة نوع من الدعوة غير المباشرة وفتح باب التوبة وإصلاح الحال مع الله، ولعل ذلك يكون سببا في بداية صفحة جديدة، وعهد جديد من الطاعة والاستقامة.

ومما يدل على جدوى هذه الوسيلة أننا إذا راجعنا قصص كثير من التائبين والتائبات فإننا نجد أنها كثيراً ما تبدأ بمثل هذه الرحلة المباركة إلى الحج أو العمرة.

٢- تخصيص جزء من هذه المصارف كذلك للهدايا الدعوية المجانية ومما يقترح في ذلك:

إرسال الإصدارات الجديدة من أشرطة الكاسيت أو الفيديو أو الـ CD الاسطوانات الإلكترونية المضغوطة لأهم الدعاة المؤثرين في الأمة في صورة هدايا مجانية مع كروت تحية أو ما شابه ذلك للشخصيات المهمة الذين سبق الإشارة إليهم ويمكن إرسال ذلك كله مكتوبا ومقروءا عن طريق النت والبريد الإلكتروني.

إرسال الإصدارات الجديدة من الكتب والرسائل الصغيرة المؤثرة لأهم الدعاة المؤثرين في صورة هدايا كذلك للشخصيات المذكورة.

٣- مشروع طباعة الكتب والرسائل الدعوية والأشرطة الدينية، وتخصيص جزء منها كهدايا مجانية.

٤- مشروع مكتبة دينية لكل ناد ومسجد:

فبالنسبة للنوادي نقترح:

-إنشاء مكتبتين دينيتين ولو صغيرتين تكونان ملحقتين بالنادي إحداهما للأشرطة

الدينية، والثانية للمكتب والرسائل الدعوية.

-التوسع في إنشاء المكتبات الإسلامية والثقافية المفيدة في جميع أنحاء المعمورة.

وبالنسبة للمساجد نقترح:

-مشروع مكتبة الرسائل الإسلامية الصغيرة لكل مسجد، والعمل على إيجاد مكتبة

إسلامية لكل مسجد ولا نقصد أن تكون في المسجد مكتبة إسلامية كبيرة تحوي أمهات

الكتب الإسلامية، فهذا وإن كان خيراً لكن ليس هو المقصود هنا، بل المقصود أن يكون

في كل مسجد مكتبة حائطية لها غطاء زجاجي متحرك تعرض فيها الرسائل الدعوية

الصغيرة التي يسهل على الشباب قراءتها في الموضوعات الدينية المختلفة، بحيث تشمل هذه

المكتبة على باقة من الرسائل الدينية الصغيرة لكوكبة من علماء ومشايخ الدعوة الإسلامية

المعروفين لدى الشباب والمحبوبين لديهم بحيث تغطي هذه المكتبة كافة الموضوعات

الإسلامية التي يحتاج إليها الشباب في معرفة أمور دينهم.

-مشروع مكتبة الأشرطة الإسلامية: وهي على غرار المكتبة السابقة في الشكل

والتصميم وتضم كذلك باقة من مختلف التسجيلات الصوتية للعلماء والدعاة

المحبوبين لدى الشباب في مختلف أمور الدين ومسائله لاسيما قضايا ومشكلات الشباب

المعاصرة.

٥-الإنفاق على الزيارات والرحلات للمساجد والمراكز الدعوية.

٦-بناء المراكز الدعوية والمساجد وتمويل مشروعاتها الدعوية المتعددة:

-التوسع في بناء دور العبادة ومراكز المعرفة والدعوة والإرشاد وتوفير الدعاة العاملين

بها، وذلك لأن وجود المسجد في مكان ما يغري المسلمين على العمل على عمارته وملئه

والمشاركة في إحياء الصلوات والعبادة فيه.

-الاهتمام برسالة المسجد في العصر الحديث بحيث تتأسى برسالة المسجد في عصر

النبوة مع الوعي بالدور الحضاري للمسجد في الواقع المعاصر، بحيث يكون المسجد وسيلة لجذب الناس وتقريبهم من الدعاة والعلماء والعباد وأهل الخير ويمكننا أن نتصور المسجد المعاصر ورسالته كالتالي:

أ- قيامه بتحفيظ القرآن وتعليمه لجميع الأعمار للجنسين وتوفير الأماكن المعدة والمهيئة لذلك.

ب- قيامه بتعليم الناس شئون دينهم وإعطائهم الصورة الصحيحة للإسلام وذلك عن طريق دروس العلم الدورية المنتظمة.

ج- إفتاء الناس فيما يحتاجون إليه من المسائل.

د- قيامه بجمع الزكاة والصدقات وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين إليها بصورة منضبطة.

هـ- اشتماله على دار لإقامة المناسبات الاجتماعية مثل حفل النكاح مع الالتزام بآداب المكان - العفيفة - تقديم العزاء - الدعوات والمناسبات السعيدة... إلخ.

و- فصول ومجموعات للتقوية في الدراسة العامة.

ز- يستحب كذلك أن يكون له فناء أو حديقة مجاورة تقام فيها أنشطة رياضية وترفيهية للأولاد والشباب حتى يتم ربطهم بالمسجد.

♦ ب- القوة العسكرية:

وتشمل الحديث عن:

١- أهمية عناية الدولة الإسلامية بالقوة العسكرية وأثر ذلك على الدعوة الإسلامية.

٢- بث الروح الدينية لدى الجنود وتوعيتهم بدورهم في حماية الدعوة الإسلامية.

وقد سبق الحديث عن هاتين النقطتين في الحديث عن معالم المنهج الدعوي في الكتاب والسنة، والأمر لا يحتاج إلى مزيد بيان لأهمية أثر هذه القوة العسكرية في رفع قدر الدعوة بحيث لا يستهان بها من قبل أعدائها، وبحيث يشعر أبنائها أنهم في ظلها في منعة وحماية.

ثالثاً: الوسائل الآلية الإعلامية:

تمهيد

لاشك أن وسائل الاتصال الحديثة بكافة أشكالها قد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتنا، فمن منا يخلو بيته من التلفاز أو المذياع أو المسجل...؟ ومن منا لا يطلع يومياً على الصحف أو المجلات؟ بل إن كثيراً منا يقتني جهاز "الفيديو" ويشارك في شبكة "الإنترنت".

وهكذا صبغت حياتنا بصبغة جديدة، وشكلت وسائل الاتصال عاداتنا وطبائعنا، بل ساهمت بجزء وافر في تشكيل أخلاقنا وأفكارنا. وأصبح الكثير لا يستطيع أن يعيش بدونها بل يرى ذلك محالاً.

والحقيقة أن بعضاً من هذه الوسائل قد منح الحياة إشراقة جديدة وشارك في توفير الجهد والزمن لدى أبنائها وذلك كالهاتف والفاكس والبريد الإلكتروني، كما أكسب أبناءها مزيداً من ألوان الثقافة والمعرفة كالمذياع والصحف والمجلات وبرامج التلفاز المفيدة وغير ذلك.

والبعض الآخر قد أذاب هويتنا ودمر أخلاقنا، وقطع علاقاتنا ومن ذلك التلفاز ببرامجه الهابطة والفيديو والسينما.

نحو أسلمة وسائل الاتصال:

من الجدير بالذكر أن نذكر هنا أن المسلمين بما أوتوا من ذكاء وإبداع قادرين على أسلمة هذه الوسائل جميعاً، وتوجيه مسارها لتخدم الإسلام وتنصب في معنية الثقافة الإسلامية الأصلية، لاسيما وقد جاء في الأثر: "الحكمة صناعة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها"^(١).

(١) ورد هذا الأثر على أنه حديث مرفوع إلى النبي ﷺ أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما عن علي مرفوعاً، وسنده ضعيف جداً، فلا يجوز ذكره إلا على جهة التنبيه على ضعفه، وإنما ذكرناه هنا استئناساً لما نحن بصدد

"وأسلمة العلوم والمعارف والمخترعات ترمي إلى تحرير المعرفة مما علق بها من شوائب المادية وأهواء التيارات المناقضة للهدى، المنكرة للطيب، والتخلص من التبعية، وتحدث تحولاً تاريخياً في مسيرة الأمة وتوجيه العلوم والمعارف توجهاً إيجابياً في خدمة الإنسانية والمجتمع..."

إن العمل الصحيح الذي يجب أن يبذل تجاه هذه الوسائل هو توظيف هذه المخترعات لترسيخ عقيدة المسلمين، وتهذيب أخلاقهم، وإنماء ثقافتهم وعقولهم، والحد من انتشار ثقافة اللذة والجنس، كما هو واقع بالفعل^(١).

أولاً: وسائل المخاطبة:

أ- مكبرات الصوت

بالنسبة لمكبرات الصوت ينبغي العمل على قصر استخدامها على الأذان وخطب الجمعة والعيدين والمحاضرات العامة حتى لا تكون سبباً من أسباب نفور الناس عن الدعوة لما قد تسببه أجهزة مكبرات الصوت خارج المسجد من إزعاج للمرضى المحتاجين إلى الراحة والنوم أو من هم بحاجة إلى الهدوء لاستذكار دروسهم ونحو ذلك. فينبغي في غير هذه الحالات المذكور ألا يستخدم مكبر الصوت خارج المسجد بحيث يقتصر في استخدامه على السماعات الداخلية بحيث لا يتعدى الصوت حاجة المستمعين داخل قاعة المسجد أو المحاضرة.

ب- الإذاعة

المذياع جليس كل إنسان، وأنيس كل وحدة، لا يخلو منه بيت ولا يمل من سماعه أحد، يسمعه الصغير والكبير والرجل والمرأة، ويعمل بالليل والنهار. "أقدم وسائل الاتصال الإذاعي وأبسطها، وأكثر وسائل نقل الكلمة المنطوقة وأقلها تعقيداً، الوسيلة الإعلامية الأولى التي استطاعت أن تصل إلى جمهورها في أي مكان

(١) أنور الجندي: الإسلام والمصطلحات المعاصرة، دار الهداية - القاهرة ط ١ - ١٩٩٧م - (٢٩٨) بتصرف.

متخطية حواجز الأمية وعقبات الانتقال في المناطق الريفية والقيود السياسية التي تمنع بعض الوسائل الأخرى من الوصول إلى مجتمعاتها.

لقد احتل المذياع مكانة هامة لدى الجمهور المصري^(١) بالرغم من الانتشار الكبير لأجهزة التلفاز؛ حيث يحرص الكثيرون على متابعة بعض المواد الإذاعية؛ كنشرات الأخبار، أو الاستماع إلى بعض البرامج التي اعتادوا سماعها، وأصبحت تشكل جزءاً من برنامج حياتهم اليومي، أو حتى لمجرد تحقيق الألفة أثناء العمل أو الاستذكار أو قيادة السيارة.

كما أصبح من وسائل تشكيل الوجدان النفسي للمستمعين. بمعنى أن البرامج الصباحية تهيب الناس لليقظة والعمل والتفائل وبذلك تخلق جواً إيجابياً لاستقبال يوم جديد^(٢).

ج- المرئي (التلفاز)

من المعروف أن التلفاز هو أكثر وسائل الاتصال الحديثة انتشاراً بين الناس وأعظمها تأثيراً في حياتهم، فلقد شكل التلفاز ثقافة الجماهير، وأخرج أجيالاً عدة تحاكي مشاهدته، وغداً المسوَّج والمعلم والصدوق الذي لا يكذب عند قطاع كبير من الناس، وذلك لما يتمتع به من إمكانيات وتقنيات هائلة، فهو يجمع بين الصوت والصورة، ويستخدم أسلوباً رائعاً في عرض برامجه، مما يجذب حواس المشاهد جميعها ويجعله أسيراً له يحركه بمنتهى ويسرة كما يشاء.

ولقد غدا التلفاز صنماً جديداً يعكف عليه الناس، ويقدمون له عقولهم وأرواحهم وأبنائهم، ويضحون في سبيله بأوقاتهم وأعمارهم، فكم من عقول شوهت، وكم من أجيال دمرت، وكم من أوقات ضيعت بسبب هذه الثقافات التافهة والأفكار الضالة

(١) كذا الحال في جميع البلدان، ومصر نموذج من النماذج التي يقاس عليها.

(٢) وليد فتح الله مصطفى بركات: دور الراديو في معالجة القضايا والمشكلات السلوكية في المجتمع

المصري (رسالة ماجستير)، ص (٢٨، ٣٣) بتصرف.

التي يعرضها التلفاز كل يوم على مرأى ومسمع ملايين من الناس حتى جذب كل من حوله، المرأة والرجل، الطفل والشاب، الكبير والصغير، فأضحى "إدماناً استسلم له طوائف كثيرة من الناس، ودخل التلفزيون إلى المصنع والمتجر وأكشاك السجائر والمرطبات، ورافق المسافرين في مركباتهم، والمتنزهين في نزهاتهم، حتى أصبح الرفيق الدائم الذي لا يمل، والسمير المستعلي الذي لا ينفك عن اللهو وتُرَّهات القول، وطاب لكثير من الخلق أن يتناولوا طعامهم أمام شاشة التلفزيون ليساعدهم على ازدراد الطعام والتهام أكبر كمية منه حتى أطلقوا في أمريكا على طريقة الأكل هذه (غذاء التلفزيون)"^(١).

التلفزيون وموقعه في الإسلام

لا شك أن التلفزيون كآلة وجهاز لا يوصف بحل ولا بجرمة؛ وذلك لأنه قد يستخدم في الخير أو في الشر تماماً كوسائل الإعلام المختلفة كالراديو والصحيفة والمجلة وغيرها، ويوضح ذلك الدكتور يوسف القرضاوي فيقول:

"إن التلفزيون كالراديو والصحيفة والمجلة كل هذه الأشياء أدوات ووسائل لغايات ومقاصد لا تستطيع أن تقول: هي خير، ولا تستطيع أن تقول: هي شر كما لا تستطيع أن تقول: إنها حلال أو إنها حرام، ولكنها بحسب ما توجه إليه، وبحسب ما تتضمنه من برامج ومن أشياء؛ كالسيف، فهو في يد المجاهد أداة من أدوات الجهاد، وهو في يد قاطع الطريق أداة من أدوات الإجرام.

فالشئ بحسب استعماله، والوسائل دائماً بحسب مقاصدها، ممكن أن يكون التلفزيون من أعظم أدوات البناء والتعمير الفكري والروحي والنفسي والأخلاقي والاجتماعي، والراديو والصحيفة كذلك، ويمكن أيضاً أن يكون من أعظم أدوات التخريب والإفساد، فهذا راجع إلى نوعية ما يتضمنه من مناهج وبرامج ومؤثرات"^(٢).

(١) مروان الكحك - الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون - دار الكلمة الطبية - القاهرة -

ط ٣ - (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) - ص (٥٥) بتصرف.

(٢) د. يوسف القرضاوي: فتاوى معاصرة.

مقترحات تطوير الإفادة من الإذاعة والتلفاز:

- بالنسبة للإذاعة والتلفاز يحتاج تطويرها إلى خطة إصلاح شاملة تتمثل في:

أ- إصلاح الجهاز الإداري والفني لهذين الجهازين أو الوسيئتين الخطيرتين لما لهما من تأثير بالغ على عقول الأمة شبابها وشيوخها وأطفالها ونسائها، فتكاد تكون هي الموجه الأول للشباب والشيوخ والأطفال والنساء في البيوت.

وللأسف الشديد فإن الجهاز الإداري والفني لهذه الأجهزة في كثير من الدول العربية والإسلامية واقع تحت تأثير سيطرة الإعلام الغربي الأمريكي والصهيوني، وذلك بتأثير حالة الانهزامية النفسية التي تظهر في محاولة التقليد التام والانصياع الكامل للغرب ومحاولة الأخذ عنه بلا قيود أو ضوابط، فيقدم المسئولون عن هذين الجهازين للأمة كل ما يعج به الغرب من صور الإباحية والفسق والفجور ورذيل العادات والأخلاق، ورديء الأفكار والمناهج وحثالة الفكر بلا تصفية ولا نظر فيما يحقق التقدم الحقيقي للأمة المسلمة وما هو سبب في هلاكها.

لذا ينبغي -إذا أردنا إصلاحاً حقيقياً لهذه الأجهزة أن نبدأ خطة التطوير من خلال حسن انتقاء المسئولين الإداريين والفنيين والقائمين على هذه الأجهزة لاسيما المسئولين عن اختيار البرامج وإعدادها، حتى نحفظ على الأمة هويتها وعقيدها وأخلاقها وتقاليدها الأصيلة وحتى لا تذوب الأمة وتنحرف في موجة العولمة الجارفة التي تعمل على استيعاب الأمم الضعيفة وإذابة هويتها عن طريق التبعية للغرب، وأخطر وسائلها على الإطلاق هي تلك الوسائل الإعلامية.

ب- رصد الجوائز القيمة لاستكتاب الأدباء والقصاصين والروائيين وكاتبي البرامج ومعدّيها للكتابة والتأليف والإعداد لبرامج فنية هادفة تناقش قضايا الأمة الملحة، وتبصر الأمة وتعمل على توعيتها التوعية الدينية والأخلاقية والثقافية والاجتماعية الصالحة التي تضمن الحفاظ على هوية الأمة وعقيدها وقيمتها الأصيلة.

ج- إتاحة الفرصة وإفساح المجال للبرامج الدينية المتنوعة من خلال الأفلام والمسلسلات والمسرحيات والسندوات والمؤتمرات واستضافة العلماء والمشايخ وأهل الفكر والالتقاء

بالشباب من الجنسين وإدارة الحديث معهم حول قضايا الحياة المختلفة من خلال بيان الوجهة الإسلامية الصحيحة لهذه القضايا المختلفة.

د-تقدم قدر من المسلسلات الدينية التي تعرض الحياة اليومية المعاصرة، بحيث لا تقتصر المسلسلات أو الأفلام الدينية على القصة التاريخية فقط بواقعها البعيد عن مظاهر الحياة المعاصرة مما ينفر كثيراً من الشباب الغارق في المظاهر العصرية المتعد عن عبق الماضي المجيد.

بحيث يجد الشباب في هذه المسلسلات حلاً لقضايا ومشكلات عصرهم من خلال الرؤية الإسلامية الصحيحة التي تشعرهم بضرورة تحكيم الدين في جميع أمور الحياة وعدم اقتصار الدين على أمر النسك والعبادات فقط بحيث يتم العمل على تغيير تلك الصورة المشوهة أو المحرفة أو القاصرة التي تقتصر على جانب واحد من الدين هو جانب العبادات فقط.

هـ-الاقتراب في هذه المسلسلات والبرامج من لغة الحياة اليومية المعاصرة الموافقة للبيئة التي تعرض فيها باعتبارها تصويراً للواقع، وذلك لأن كثيراً من المستمعين ينفر عن سماع البرامج الدينية نظراً لتمسكها باتخاذ اللغة العربية الفصحى لغة للحوار والسرد مع تفشي الضعف العام والغربة شبه التامة عن اللغة العربية الأصيلة، وليس معنى ذلك الدعوة إلى تهميش اللغة العربية أو إلغائها من وسائل الإعلام، وذلك لأننا نجعل من خطتنا الدعوية الارتقاء باللغة العربية وتطوير طرق توصيلها إلى الناس، وإنما المقصود هنا هو ألا تكون البرامج الهابطة أكثر استحواداً على عقول الناس ومحبة إلى قلوبهم أكثر من البرامج الدينية بفروق شاسعة يصعب تداركها. وذلك لأننا نؤمن أن القلوب تميل إلى الباطل وأنها مهما حاولنا تقريب المادة الدينية وتحييب الناس فيها فإننا لا نستطيع صرف قلوبهم عن الميل إلى اللهو والباطل.

ولكن المطلوب ألا يبالغ أهل الباطل في عرض باطلهم في أهي صورة وأكثرها زينة وتبرجاً، ثم يقعد أهل الحق عن تزيين بضاعتهم وعرضها في أهي حللها من الزينة المباحة لأنهما لا تدعو بحال إلى استخدام شيء من الوسائل المحرمة الممنوعة شرعاً لأن هذا شيء

مقطوع الخير ولا بركة فيه.

وذلك لأن غاية الأمر هو استخدام اللغة العامية في التوعية الدينية وبيان حقائق الدين للمحاضرين وهذا أمر ينبغي ألا يستنكر أو أن تقوم علينا فيه حملة شعواء، وذلك لأنه لا يختلف معي أحد من أهل العلم على ضرورة -ولا أقول جواز- الدعوة إلى الله بغير اللغة العربية. فكما يجب بيان الدين للإنجليزي باللغة الإنجليزية، وبيان للفرنسي باللغة الفرنسية وهكذا، كذلك ينبغي بيانه للعامي الذي لا يتكلم بالفصحى إلا باللغة التي يعرفها وهي العامية.

معلوم أن من الناس من يتكلم الفصحى بجانب العامية أو يفهم كثيراً من العربية بجانب العامية، غير أن الغالب على طبقة العامة أنهم لا يكمل فهمهم إلا بالعامية ولا تتضح لهم الأمور والحقائق إلا بها، ولا تفتح آذانهم وقلوبهم إلا لها، فلماذا إذاً لا نخطبهم بلغتهم والله تعالى يحث على أن يتكلم الداعي بلسان قومه ليبين لهم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(١).

ومن ثم فإني ألح ونحن بصدد الحديث عن تطوير الخطاب الدعوي على أمر تقديم العديد من البرامج الدينية باللغة العامية الساذجة سواء من خلال الدرس أو المحاضرة أو الفيلم أو المسلسل أو الندوة والمؤتمر هذا كله جنبا إلى جنب مع البرامج الدينية المماثلة باللغة العربية المعاصرة كذلك.

الشعراوي نموذجاً:

ولعل من أسباب نجاح داعية مثل فضيلة الشيخ الراحل محمد متولي الشعراوي أنه كان مع تناوله لكتاب الله تعالى تفسيراً وبياناً لمواضع إعجازه المتعددة لغوية وعلمية وغير ذلك -أقول رغم تناوله لتلك الموضوعات الصعبة التناول والتي يصعب عرضها إلا من خلال لغة علمية أكاديمية جافة كان يتكلم بلغة سهلة وسط بين المبالغة في الفصحى والإغراق في العامية، فكان يتكلم اللغة العربية المعاصرة ويخلل حديثه لاسيما في مخاطبة

(١) إبراهيم: ٤.

الحاضرين ولفت انتباههم وجذب أنظارهم واهتمامهم ببعض الجمل العامة التي تستخدم التواصل بينه وبين جميع الحاضرين على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم العلمية والمهنية والثقافية.

و- العمل على رفع مستوى اللغة العربية، وتطوير طريقة عرضها وتعليمها من خلال وسائل الإعلام المتعددة لاسيما الإذاعة والتلفاز، وذلك عن طريق:

أولاً: تقديم البرامج الحوارية المتعددة والمتنوعة في الموضوعات الهامة لاسيما التي تستحوذ على اهتمام الناس.

ثانياً: تقديم البرامج المتنوعة في قصص الحياة المختلفة بلغة عربية معاصرة، بحيث لا يطلق على تلك البرامج أنها برامج دينية، وإن كان هذا لا ينفي أن تكون برامج هادفة، وذلك لأن الكثير من الناس ينفر ويفر من البرامج الدينية خاصة إذا كانت باللغة العربية ويميل إلى سماع قصص الواقع بأي لغة كانت ولو باللغة الأجنبية فمن باب أولى ينفر من سماعها باللغة العربية المعاصرة التي يعرفها ويفهمها.

ثالثاً: تطوير خطة تعليم قواعد العربية من خلال العرض في الإذاعة والتلفاز عن طريق الاهتمام بالتطبيقات الحوارية المتنوعة في شكل مشاهد تمثيلية تطبيقية على كل قاعدة من القواعد.

رابعاً: تقديم المسابقات المتعددة في اللغة العربية وترصد لها جوائز قيمة ويتم عرضها من خلال الإذاعة والتلفاز ومن الاقتراحات في هذا الصدد:

١- اكتشاف أخطاء المتحاورين على نحو برنامج إذاعي قدم عنوانه (الغلط فين) ولكن يكون السؤال هنا على الخطأ في قواعد اللغة ومفرداتها وأساليبها بحيث يسأل مقدم البرنامج حواراً بين اثنين ثم يذكر بعد انتهائه أن هذا الحوار اشتمل على ثلاثة أخطاء مثلاً في قواعد اللغة وأساليبها ومفرداتها ويطلب من المتسابقين اكتشافها.

٢- عمل مسابقات لمن يتكلم أطول فترة ممكنة دون أن يسجل عليه خطأ واحد في اللغة العربية نحوها وصرفها ومعجمها وبلاغتها... إلخ.

٣- عمل مسابقة لمن يقدم أجمل حوار باللغة العربية.

- ٤- الحث والتشجيع على المسابقات الأدبية بين الشباب في نظم الشعر.
- ٥- المسابقات في الخطابة بحيث يتم عرض عدد من المتسابقين يقدم كل منهم خطبة موجزة فيما لا يزيد عن خمس أو عشر دقائق بلغة عربية فصيحة في موضوع معين.
- ٦- مسابقة القصة القصيرة باللغة الفصحى.
- ٧- مسابقة الرواية العربية باللغة الفصحى.
- ٨- مسابقة المسرحية العربية باللغة الفصحى.
- وينبغي عرض هذه المسابقات والأعمال في برامج مسموعة ومرئية وتقدم لها الجوائز الثمينة بحيث تحفز همم الشباب للارتقاء باللغة العربية.
- ٩- الاهتمام بتطوير عرض المادة المدرسية بطريقة إعلامية حوارية جيدة من خلال الإذاعة والتلفاز.
- ١٠- الاهتمام بعرض المسابقات بين أبناء المدارس في اللغة العربية في برنامج أوائل الطلبة في الإذاعة والتلفاز.

د- الأقمار الصناعية:

تعد الأقمار الصناعية من أعظم الوسائل الإعلامية التي يمكن التعويل عليها كثيراً بين الوسائل الإعلامية في خدمة الدعوة، نظراً لامتتع هذه الوسيلة الإعلامية بقدر كبير من الحرية الدعوية وامتلاك القرار بالنسبة للقنوات الإعلامية الخاصة حيث يتيح لها -قدراتاً كبيراً من تلك الحرية الدعوية- يحررها من التبعية المباشرة للجهاز الإعلامي الحكومي في كثير من الدول المعادية للإسلام أو المضيق على الدعوة إليه لما يقع عليها من ضغوط معينة من الدول العظمى.

فلئن كانت الأجهزة الحكومية للإذاعة والتلفاز لا تستطيع تنفيذ الكثير من مقترحاتنا السابقة لتطوير الإذاعة والتلفاز فبوسع هذه القنوات الخاصة أن تقوم بتنفيذ قدر كبير من هذه المقترحات للوصول إلى أكبر استفادة ممكنة من الأقمار الصناعية في الدعوة إلى الله تعالى ومن ثم يمكن لهذه القنوات الخاصة، وكذلك قنوات الأجهزة الحكومية المهتمة بشأن الدعوة الإسلامية أن تقوم بالآتي:

١- العناية بالمظهر الإسلامي للإعلامي مما يكون له أكبر الأثر في الدعوة إلى الله تعالى بطريقة علمية تشجيعية.

٢- إفساح المجال للإعلام الديني وإعطاء أكبر مساحة ممكنة للدعوة الإسلامية.

٣- إبراز القيم الإسلامية الغائبة أو النادرة في الأمة.

٤- كشف المؤامرات والمكائد المدبرة ضد الإسلام والمسلمين وتوعية المسلمين بها.

٥- الاهتمام باللغة العربية والعناية بها على النحو الذي سبق بيانه^(١).

٦- رد الشبهات الموجهة للإسلام.

٧- الوقوف على قضايا العصر وتحدياته وتحليلة موقف الإسلام من تلك القضايا المهمة.

نأتي لتفصيل الحديث بقدر الحاجة في النقاط السابقة:

١- بالنسبة للعناية بالمظهر الإسلامي:

لاشك أن ظهور المذيع أو المذيعة أو مقدمي البرامج بالمظهر الإسلامي سمتاً وخلقاً وحديثاً يمثل نوعاً من القدوة الحسنة التي تغري بالتأسي، وتؤدي إلى شيوع الالتزام بالمظهر الإسلامي الحميد الذي يقود إلى الفضائل، ويمنع من الرذائل، ويعتبر بمثابة عنوان للعفة والطهارة، فهذا نوع من الدعوة العملية التي يكون لها أكبر الأثر في المخاطبين.

٢- وبالنسبة لإفساح المجال للإعلام الديني:

فلاشك أن الإعلام الديني مضيق عليه في أكثر بلدان المسلمين فلعله يكون في هذه القنوات متنفس لإذاعة البرامج الإسلامية المضيق عليها في كثير من هذه البلدان.

٣- بالنسبة لإبراز القيم الإسلامية الغائبة والنادرة:

فلاشك أن بوسع هذه القنوات أن تركز على القيم الإسلامية التي تحارب في كثير من البلدان مثل قيمة الحجاب وعدم الاختلاط الماحن والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية... إلخ.

هذا وقد سبق الحديث عن بقية النقاط ضمن نقاط سابقة فلا حاجة للإعادة.

(١) انظر ما سبق في الحديث عن تطوير الإذاعة والتلفاز.

هـ- آلة التسجيل الصوتي (الكاسيت) والتسجيلات الصوتية:

من أجمل ما أبدعته حضارة القرن العشرين في وسائل الاتصال الحديثة، والذي يخضع تماماً لتصرف الإنسان وتوجيهه ما يسمى بالمسجل.

فهو جهاز بسيط لا يحوي برامج خاصة ولا قنوات شاذة، وتقل أضراره كثيراً عما سواد من وسائل أخرى، بل ويمتاز بأنواعه المختلفة لاسيما وأن منه ما هو صغير الحجم، قليل الثمن يمكن بسهولة أن يحمل إلى أي مكان ويستعمل في تسجيل أي مادة في محاضرة أو ندوة أو لقاء.

و- آلة التسجيل المرئي (الفيديو) والتسجيلات المرئية:

الفيديو صنو التلفاز فكلاهما من وسائل الاتصالات السمعية البصرية التي تجذب حواس الإنسان جميعاً، بل تأسره من خلال الصور والمشاهد والحركات المتتابعة التي تعرضها، إلا أن الفيديو يختلف عن التلفاز في أنه يعرض ما لا يعرضه التلفاز؛ حيث يختلف عنه إيجابياً في القدرة على التحكم فيه باختيار عرض النافع والمفيد والاقتصار عليه.

نعم لقد ملأت أجهزة الفيديو البيوت المسلمة وقل أن يخلو بيت منها، وفي غياب الرقابة والتربية غزت أشرطة الفيديو كاسيت المجتمع، وصارت تجارة رابحة يقبل عليها الشباب المسلم في مستقبل عمره، ويروجون أفلاماً غريبة غريبة ليست من نتاجنا بل دخيلة علينا، هذه الأفلام تحمل في داخلها سموماً أخلاقية وسموماً فكرية أريد بها القضاء على فلذات أكبادنا.

ز- أقراص الليزر الممغنطة (CD):

مقترحات للإفادة من آلات التسجيل والمرئي وأقراص الليزر:

آلتا التسجيل الصوتي والمرئي وأقراص الليزر (CD)^(١) بالإضافة إلى ما سبق الحديث عنه من أهمية هذه الأجهزة، وكيفية استغلال منتجاتها من الأشرطة والاسطوانات،

(١) سيأتي الحديث عنها فيما بعد باعتبار ما تقدمه من المواد المكتوبة.

فإننا يمكننا أن ندلي هنا ببعض المقترحات الخاصة بكيفية تطوير الإفادة من هذه الأجهزة:

١-الاهتمام بتسجيل البرامج الدعوية المميزة التي تعرف بالدين الإسلامي بجميع لغات العالم.

٢-الاهتمام بتسجيل البرامج الدينية الهادفة لتنمية الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية.

٣-الاهتمام بتسجيل البرامج الترفيهية النافعة التي تقدم اللهو المباح من خلال المنظور الإسلامي.

٤-الاهتمام بتسجيل البرامج الهادفة التي تم إذاعتها في الإذاعة أو التلفاز. وهاك تفصيل هذه النقاط:

١-تسجيل البرامج الدعوية المعرفة بالإسلام بجميع اللغات: وذلك مثل:

أ-ترجمة معاني القرآن الكريم باللغات المنتشرة المختلفة.

ب-بيان أحكام العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج...إلخ.

ولاشك أن التسجيلات المرئية في مثل هذا النوع تكون أكثر فائدة لما يحتاج إليه من تصوير أوضاع الصلاة المختلفة، وكذلك تصوير مناسك الحج وغير ذلك مما يكون تصويره أكثر فائدة.

ج-التعريف بالأخلاق والآداب الإسلامية وبيان أثرها على الفرد والمجتمع.

د-التعريف بالمعاملات الإسلامية الصحيحة.

٢-تسجيل البرامج الدينية الهادفة في الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية وذلك مثل:

أ-البرامج التي تشرح وتبين صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ب-تسجيل الحوارات والمناقشات حول القضايا الإسلامية الهامة.

٣-تسجيل البرامج الترفيهية المباحة والنافعة مثل:

أ-القصص الدينية والقصص الواقعية النافعة.

ب-الأناشيد الإسلامية للأطفال والشباب.

ج- تسجيل الأفلام والمسلسلات الدينية بضوابطها الإسلامية.

د- إعادة إنتاج وتسجيل الأفلام الدينية وغيرها بعد عمل (مونتاج) تكييف ديني لها بالحذف والإضافة.

هـ- إنتاج أفلام الكرتون ذات القيم الإسلامية باللغة العربية الفصحى لتربية وتقويم الطفل السليم، وقد أثبتت التجربة تقبل الأطفال لهذه النوعية من الأفلام باللغة العربية تقبلاً حسناً.

و- إنتاج ألعاب الذكاء المفيدة للطفل.

٤- تسجيل البرامج الهادفة التي سبق إذاعتها مثل:

أ- حلقات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

ب- الحلقات التي تربط بين العلم والإيمان.

ج- عرض مشاهد الخلق ودلائل القدرة من خلال عالم الحيوان عالم النبات- عالم البحار- عالم الأفلاك... إلخ.

د- الندوات الحوارية والمؤتمرات حول القضايا الإسلامية.

هـ- الأفلام والمسلسلات الدينية.

ح- الهاتف.

لا شك أن الهاتف يمثل نقلة حضارية هائلة تعد حقا آية من آيات هذا العصر الذي أتخّم حياتنا بسبيل من وسائل الاتصالات التي جعلت العالم كله كقرية صغيرة تسير فيها الأخبار والمعلومات بسرعة البرق، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١).

ونظراً لأن الهاتف وسيلة هامة لا يمكن الاستغناء عنها فقد قام العلماء بتطويره في أشكال مختلفة، كالمحمول، واللاسلكي.. إلخ، وأقبل الناس على شرائه، ودخل الهاتف - تقريباً - معظم البيوتات، بل إن الهيئات والمؤسسات التليفونية ساعدت المواطنين على

(١) العلق: ٥.

استخدامه بصور مختلفة بسهولة ويسر.

ونظرة الإسلام للهاتف لم تختلف عن نظراته للتلفاز والمسجل والمذياع وغيرها من الوسائل الحديثة التي لم يتعلق بها في نفسها حكم وإنما يتعلق الحكم باستعمالها، فإن استعملت في محرم فذلك حرام، وإن استعملت في الخير وفي الأمور المباحة فذلك جائز. إن هذه الآلة لسهولة استخدامها انتشرت بين الناس انتشار النار في الهشيم، وخرج كثير من الناس في استخدامها على الآداب الإسلامية؛ ومن ذلك استخدامها في المؤسسات العامة بدون استئذان، واستخدامه في التجسس والتصنت... إلخ.

مقترحات لتطوير الإفادة من الهاتف:

سبق الحديث عن أهمية الهاتف وبعض فوائده في الدعوة إلى الله تعالى، ونركز الحديث هنا على كيفية تطوير الإفادة منه في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك من خلال الآتي:

١- عمل خط دعوي ساخن للإجابة على المشكلات التي تحول دون الالتزام بالشرع والتقييد بضوابطه، يمكن تسميته بمشروع الهاتف الإسلامي، ويتم الإجابة فيه على مختلف الأسئلة الدينية في جميع نواحي الحياة.

وينبغي أن تكون هذه الخطوط الهاتفية تابعة لوزارات الأوقاف والدعوة والإرشاد، أو لجمعيات إسلامية رشيدة مسئولة تقدر أمانة الكلمة، وتهتم بأمر الدعوة الإسلامية وفق الضوابط الشرعية الأصيلة.

٢- عمل خط دعوي آخر معلن من شأنه الاتصال بالشخصيات المهمة، وتقديم التهنية الشرعية لهم في المواسم الدينية المختلفة وغيرها، وتقديم المساعدة والمعونة لمن في الإجابة عن أي استفسارات دينية خاصة بهم بحيث يتم ربط هؤلاء المسؤولين بطريقة لطيفة بعلماء الأمة ودعاتها بما يضمن سلامة مسيرتهم وحسن توجيههم لما فيه الخير والسداد.

٣- استخدام هذه الوسيلة المهمة على المستوى الفردي في الدعوة إلى الله تعالى وتذكير الأهل والأقارب والأصدقاء والجيران بطاعة الله تعالى والاستقامة على منهجه

وذلك عن طريق:

أ- تذكيرهم بموعد درس علم لأحد العلماء أو المشايخ.

ب- تذكيرهم أو تنبيههم للاستماع إلى برنامج دعوي مهم في الإذاعة أو التلفاز، وليس في ذلك أدنى حرج أن تدق على صديقك وتقول له: الآن على قناة اقرأ حلقة مهمة لفضيلة الشيخ فلان فليتك تتابعها.

ج- الاتفاق مع الأصدقاء على أن يوقظ الواحد منهم الآخرين لصلاة الفجر بأن يدق الهاتف عليه ليؤذنه بالصلاة ولو بغير مكاملة، بحيث يحصل على أجر عظيم دون أدنى تكلفة.

ط- الشبكة العالمية (النت)^(١).

"لا شك أن الإنترنت (الشبكة الدولية للمعلومات) هي أعجوبة العقد الحالي"^(٢) ومعجزته التي انتشرت بشكل مذهل في جميع أنحاء العالم؛ حيث يصل العدد الحالي لمستخدمي الإنترنت ٣٠ مليون مستخدم"^(٣).

مزايا شبكة الإنترنت:

وهذه الشبكة لها مزايا لا حصر لها نذكر منها:

- "استخدام البريد الإلكتروني (إرسال واستقبال) مع مختلف مناطق العالم بأي عدد من الرسائل وبأسرع ما يمكن.

- عرض الأبحاث العلمية والاستفادة من أبحاث الغير.

- نشر الآداب والفنون والاطلاع عليها"^(٤).

- "عرض السلع والمنتجات والتسوق لكل من الشركات والأفراد.

- الاطلاع على القوانين والتشريعات في العديد من الدول.

(١) سيأتي الحديث عنها كذلك من حيث الاستفادة منها كوسيلة للمكاتبة الدعوية.

(٢) نحن الآن في القرن الحادي والعشرين.

(٣) فاروق حسين: الإنترنت - ص (٥).

(٤) السابق، نفس الصفحة.

-إمكانية تعلم لغة جديدة؛ لأن شبكة الإنترنت تحمل لغات أخرى عديدة تتحدث بها أجهزة الكمبيوتر في هذه الدول.

-الطواف حول العالم من خلال الشبكة الإخبارية؛ وذلك لأن الشبكة الإخبارية تنطوي على العديد من المجموعات الثقافية والاجتماعية الخاصة بمختلف الدول^(١).
هذا بالإضافة إلى فوائد غير ذلك كثيرة.

مخاطر الإنترنت:

ولا ننسى كذلك أن نشير هنا إلى بعض سلبيات هذا "الإنترنت"، فليس كله خيراً محضاً، بل له عديد من التأثيرات السلبية، مثل:

(١) المخاطر المتعلقة بالأخلاق:

يقول صاحب كتاب "تكنولوجيا الاتصال": من المخاطر التي تحوط شبكة الإنترنت أنه توجد مواقع على هذه الشبكة للحب والزواج والعلاقات غير الشرعية.. وقد أنشأت جامعات أوروبية وأمريكية وطوائف دينية ومذهبية بعض هذه المواقع، وأنشأ هواة ومدمنو الحاسوب والتحول عبر الإنترنت بعضها الآخر، وكالعادة، استغلت شبكة المافيا العالمية بعض هذه المواقع؛ لتحقيق أرباح من هذه العلاقات المحرمة وتسويق الفتيات والسيدات من روسيا وأوكرانيا ودول شرق أوروبا عبر هذه الشبكة.

(٢) المخاطر المتعلقة بزعة عقيدة المسلمين:

حيث تقوم إحدى المنظمات المشبوهة من خلال شبكة الإنترنت بمحاولة لتشويه القرآن الكريم؛ حيث طالبت هذه المنظمة من زوار موقعها على الإنترنت بتأليف سور تحاكي السور القرآنية الكريمة، في محاولة منها لإقناع جمهور الشبكة العالمية بأن القرآن ليس معجزة إلهية من عند الله، بل هو من صنع البشر، وقد تواصلت الجهود والمحاولات لتحريف القرآن الكريم على شبكة الإنترنت.

(١) بماء شاهين: شبكة الإنترنت، ص(١٥٥) باختصار.

(٣) المخاطر المتعلقة بالإباحية الإلكترونية:

حيث تحتوي شبكة الإنترنت على آلاف الصور الخليعة والتي يصعب الدخول إليها دون معرفة كلمة السر "Password" التي تساعد على دخول الشبكات الخاصة أو السرية، وهناك صور تظهر للمتصفح دون دخول على هذه المواقع الإباحية.

(٤) سرقة الوقت والخدمات:

(٥) سرقة المعلومات:

إلى غير ذلك من المخاطر والسلبيات التي ظهرت مؤخراً عبر شبكة الإنترنت^(١).

مقترحات لتطوير الإفادة من الشبكة الدولية (النت):

سبق الحديث عن أهمية الإفادة من هذه الشبكة في الدعوة إلى الله تعالى، وتحدثنا عن بعض الصور التقليدية في ذلك، ويمكننا أن نضيف هنا بعض صور تطوير الإفادة من هذه الوسيلة المهمة، فمن ذلك:

١- تخصيص غرف للحديث على الإنترنت فيما يسمى بالـ chat أو الدردشة تكون تابعة للمراكز الإسلامية الدعوية المتخصصة ويفرغ لها جماعة من المتخصصين على أن يكون هناك نوعان من هذه الغرف:

أ- نوع معلن بأسماء هذه المراكز الدعوية الإسلامية يكون الهدف منها الدلالة على الخير للراغبين فيه الباحثين عنه أو الرد على دعاوى المناوئين للإسلام الصحيح.

ب- نوع غير معلن عنه بأسمائه الإسلامية، وإنما يمكن تسميته بأسماء وهمية شبابية يكون الهدف منه اصطلياد الشباب إلى تلك المواقع، ويمكن لمدير الغرفة أن ينوع الحديث في هذه الغرفة في المجالات الحياتية المختلفة وينتقل من ذلك إلى توجيه الشباب التوجيه الإسلامي الصحيح في هذه الأمور في مختلف مناحي الحياة، خاصة وأن ديننا الحنيف ليس قاصراً على مجال النسك وحدها بل يتسع لجميع مجالات الحياة.

وينبغي أن يقوم على أمر هذه الغرف هيئات ومراكز إسلامية متخصصة مثل إدارة

(١) انظر بتوسع: د. شريف اللبان: تكنولوجيا الاتصال، ص (١٠١) وما بعدها.

الدعوة والإرشاد أو الأزهر الشريف أو الأوقاف ونحوها وذلك للآتي:
أولاً: حتى يقدم لها الدعم المادي الكافي من جهة توفير الموظفين المتخصصين المتفرغين لهذا الأمر.

ثانياً: ضمان عدم انحراف هذه الغرف عن مهمتها الأساسية وعدم تلاعب الأشخاص بها، وتوافر الرقابة الكافية عليها.

٢- تخصيص مواقع ثابتة تشتمل على المواد الإسلامية المقرؤة والمسموعة التي تبين الإسلام والعقيدة الصحيحة وتدفع عن الإسلام السهام الموجهة إليه من أعدائه ومناوقيه.

٣- تخصيص مواقع ثابتة للإجابة الفورية على الأسئلة الدينية المختلفة من خلال فريق من العلماء يتناوبون على هذه الغرف على مدار (٢٤ ساعة) ويمكن البدء بساعات محددة ثم تزيد بحسب الحاجة (ولاشك أن الحاجة ملحة في ذلك).

٤- فضلاً عن تدعيم الطرق التقليدية المعمول بها الآن مثل بث المحاضرات والدروس العلمية عبر مواقع إسلامية في الإنترنت.

٥- توفير الخطب والدروس والمحاضرات وسائر التسجيلات الصوتية لمشاهير العلماء والدعاة لمن يريد الحصول عليها من المواقع الإسلامية في الإنترنت.

ع-السينما:

من المعروف أن السينما من أحدث صور التقنية التي وصل إليها العقل البشري في العصر الحديث، "وهي من الناحية العلمية جهاز أو آلة لالتقاط صور على فيلم (شريط)، وجهاز آخر أو آلة لعرض هذا الفيلم، وبعد ذلك تأتي أجهزة وأدوات مساعدة لصناعة السينما مثل أجهزة تجميع - أي إظهار وتثبيت الفيلم وطبعه - وأجهزة المونتاج (أي: التوليف)، ومكان العرض، وأجهزة الصوت.. إلخ، وهي الآلات والمستلزمات الضرورية لإنتاج وعرض الأفلام السينمائية ذات الصور التي نراها أو -ندركها- متحركة ونسمعها ناطقة بالألوان"^(١).

(١) د. محمود عبد الرؤوف: مقدمة في علم الإعلام والاتصال بالناس، ص(١٧٩).

أما من الناحية الخلقية فهي أداة لبث عادات العالم الغربي بما يكتنفها من فجور وإباحية ودعارة وشذوذ وعنف وجريمة وفساد بين العالم الإسلامي أو كما يسمونه "العالم الثالث"، هذا العالم الذي يعتنق التوحيد ويقدر الفضيلة، ويسمو على هذه الموبقات.

نعم إن المتأمل لأوضاع السينما في بلادنا يجد أنها تحارب الدين باسم الفن، وتحارب الالتزام والتدين باسم الحرية والانطلاق!!.

إن السينما اليوم لا تعرض فيلماً إلا وفيه مناظر فاسدة، ومشاهد مائعة ماجنة حتى صارت التجارة فيها بالأعراض والجنس باباً للرزق، وميداناً للسبق عند أصحاب المطاعم الخسيسة، وذوي النفوس الهابطة الدنيئة والضماير المتعفنة.

مقترحات لتطوير الإفادة من السينما:

لا تزال السينما الدينية حلماً بالنسبة لكثير من المسلمين ويرجع تأخر هذا الأمر لأسباب عديدة منها:

١- عدم إقبال كثير من الناس على الفيلم الديني، وذلك لأسباب من أهمها:

أ- الفساد والانحلال العام والإقبال على أفلام اللهو والإباحية.

ب- عقم المعالجة لهذا النوع من الأفلام مثل الحديث باللغة الفصحى، وعدم معاصرة القضايا والموضوعات، وغير ذلك.

٢- عدم تقديم الدعم الكافي من الحكومات أو المؤسسات الدعوية لإنتاج الأفلام الدينية.

٣- المحاذير الشرعية في التمثيل عمومًا، والتي تحتاج إلى قيام لجنة شرعية دعوية بمراقبة المواد المقدمة لضمان شرعيتها.

وإزاء هذه المحاذير فإن الأمر يحتاج إلى جهود حكومية مؤسسية وليس إلى جهود فردية، ومع إعراض المسؤولين في كثير من الدول العربية عن الاهتمام بأمور الدعوة الإسلامية فإن هذا الأمر سوف يتأخر كثيرًا، حتى تحدث صحوة دينية لدى القطاع العريض من الناس ترفض أفلام العشق والغرام وتطالب بأفلام القيم الدينية المحترمة.

obeikandi.com

دعوية فعالة وأنشطة تعمل لخدمة الإسلام، وتطلب من هؤلاء المرشحين تقديم يد العون والمساعدة لخدمة الأعمال الدعوية. بمختلف الوسائل البشرية أو المادية أو الفكرية التخطيطية أو الآلية أو غير ذلك.

٢- الكتاب والرسائل الدعوية:

قال الشاعر الحكيم أبو الطيب المتنبي:

وخير جليس في الزمان كتاب^(١) أعز مكان في الدنا سرج سابح
وصدق الشاعر العظيم؛ فالكتاب لم يزل يحتفظ بمكانته العلمية والثقافية رغم تطور وسائل الاتصالات الجماهيرية من تلفاز ومذياع وصحف ومجلات... إلخ.
"والكتاب وسيلة إعلامية أساسية في حياتنا؛ فعليه يعتمد النظام التعليمي، والتثقيف الشخصي، ولا غنى للمرء مطلقاً عن الكتاب حتى وإن قرأ الصحيفة وشاهد التلفاز واستمع إلى المذياع؛ فكل أولئك يفتقر إلى التفصيل والتعميق والتحليل والشمول والموضوعية.

فإذا كانت الصحف والمجلات مادتها الأساسية الأخبار والتعليق عليها وتفسيرها والتحقيقات والأحاديث والصور الصحفية، أما الكتاب فمادته الأساسية هي العلم والثقافة"^(٢).

إن الكتاب هو الذي يمدنا بالعقيدة السليمة والعبادة الصحيحة والأخلاق الفاضلة، وهو الذي ينقل لنا بتوسع واستفاضة سير الصالحين والصالحات من أمتنا، وهو الذي يغذينا بشتى أنواع المعارف الإنسانية.

ولقد حثنا الدستور العظيم على القراءة، فقال تعالى في أول آية نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣)، وأقسم الله عز وجل

(١) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، شرحه وكتب هوامشه: مصطفى سبيتي، (٢ / ٢٤٣).

(٢) مقدمة في علم الإعلام والاتصال بالناس، ص (١٣٧) باختصار.

(٣) العلق: ١-٥.

بالقلم وبالكتابة، فقال: ﴿إِنِ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١)؛ فالقراءة والكتابة عنصر أساسي في النهوض بتكاليف هذه الرسالة وتبليغها للناس كافة، كما أن من مقومات الشخصية المسلمة ثقافة الفكر، ولا يتأتى ذلك إلا بالاطلاع الواسع على كتب العلوم والثقافة الإسلامية، وهي:

أولاً: القرآن الكريم وعلومه.

ثانياً: السنة النبوية وعلومها.

ثالثاً: العقيدة.

رابعاً: السيرة والتراجم.

خامساً: الفقه وأصوله.

سادساً: الرقائق والتزكية.

سابعاً: فقه الدعوة والحركة.

ثامناً: الفكر الإسلامي.

تاسعاً: الثقافة العامة.

مقترحات لتطوير الإفادة من الكتاب:

لا يحتاج الأمر إلى المزيد في بيان أهمية الكتاب والرسالة الدعوية في الدعوة إلى الله تعالى، وقد سبق بيان شيء من ذلك، ولكن نحتاج هنا إلى التركيز على:

أ- ضرورة دعم الكتاب والرسالة الدعوية من المؤسسات الخيرية والأجهزة الحكومية المهمة بأمر الدعوة الإسلامية؛ حتى يتم توفير الكتاب أو الرسالة الدعوية بأزهد الأثمان للقارئ، أو إهداؤه بالجمان عن طريق تبرعات القادرين.

ب- الاهتمام بطريقة طباعة الكتاب والرسالة الدعوية من حيث وضوح الخط، وجمال الشكل، وجودة الورق، وغير ذلك من الوسائل المرغوبة في اقتناء الكتاب والمرغبة في قراءته كذلك مما لا ينكر أثره.

(١) القلم: ١.

ج-إنجاد نوع من الرقابة العادلة والمنصفة للكتب والرسائل الدعوية تسمح للجيد منها بالظهور والانتشار وتحد من الزائف المحرف الذي ينشر البدع والخرافات ويحارب الإسلام بقصد أو غير قصد.

د-استكتاب الكتاب الإسلاميين في الموضوعات التي تحتاج إليها الأمة والتي تعاني المكتبة الإسلامية والدعوية من نقص فيها وذلك عن طريق:
أ-المسابقات الدينية ذات الجوائز القيمة.

ب-إنشاء دور نشر مدعمة من الأجهزة الدعوية.

ج-قيام المؤسسات الدعوية الخيرية بتكليف العلماء والمشايع بمثل هذه الأعمال.
٣-الصحيفة والمجلة.

تحتل الصحف والمجلات الصدارة في تثقيف الجماهير، وتوجيه الرأي العام في البلاد، وقد تربعت الصحافة على عرش التأثير زمنا طويلا حتى غدت آية من آيات الزمان، حتى قال فيها أمير الشعراء أحمد شوقي:

وآية هذا الزمان الصحف لكل زمان مضى آية
وكهف الحقوق وحرب الجنف^(٢٨) لسان البلاد ونبض العباد

لقد غدت الصحيفة بما تتمتع به من عناوين جذابة، ومقالات متعددة وصور ورسوم ونكات كثيرة اللسان الناطق عن أحوال الأمم والشعوب، والخطيب البارع الذي يسوق الحجج والبراهين على مراده، والفنان المبدع الذي يصور بريشته ولقطاته الأحداث "فغدا كثير من الناس لا يستغي عن شراها ومطالعتها يوميا، بل الكثير منهم لا يتناول فطوره إلا بعد الاطلاع على صحف اليوم"^(٣).

(١) الجنف: الحيف.

(٢) الشوقيات، (١/١٢٥).

(٣) د. ناصر العمر: البث المباشر، ص(١٣) بتصرف.

يقول أحد المفكرين محللا هذا التأثير: "ويأتي تأثير الصحافة كذلك من شكلها المادي، إن الصحيفة تتمتع بقوة الكلمة المطبوعة، وبهذا العامل النفسي الذي يجعل قارئ الصحيفة لا يخشى أن تخدعه؛ لأنه يعلم أن هناك ملايين القراء يصدقون مثله بسرعة، وإذا لم تكن الصحيفة تتمتع بالسحر الشخصي الذي يتمتع به الخطيب، وبالتأثير الوجداني الذي يربطه بالمستمع ويشيع الإيمان، فإن الصحيفة تتفوق على الخطيب في تقديمها بحيل مختلفة على شكل جرعات صغيرة"^(١).

من هنا كانت أهمية الصحف بين وسائل الاتصال المختلفة، فهي وسيلة دورية لنشر الأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والترفيهية... إلخ، تشرحها وتعلق عليها فيخرج القارئ وقد أحاط علما بما حوله من قضايا وأحداث، ونمى عقله وذوقه بما فيها من منوعات وأدبيات.

مقترحات لتطوير الإفادة من الصحيفة والمجلة الإسلامية:

للصحيفة وتليها المجلة أهمية ليست للكتاب والرسالة نظراً لكونها أكثر تداولاً وأوسع انتشاراً وأخف على القارئ نظراً لسهولة موضوعاتها وتنوعها وسهولة أسلوبها... إلخ.

ومما يقترح لتطويرهما:

أ- رصد الدعم المادي الكافي لطباعة الصحيفة أو المجلة الإسلامية من الأجهزة الحكومية المعنية بشئون الدعوة الإسلامية.

ب- اهتمام المؤسسات الدعوية الخيرية أن يكون لها صحيفة أو مجلة دعوية تكون لسان دعوتها وتعبر عن أهدافها وقضاياها وتشارك بدورها في الدعوة إلى الله تعالى.

ج- الاهتمام بجودة طباعة الصحيفة من حيث الشكل والمضمون.

د- الحرص على الاهتمام بالقضايا الإسلامية المعاصرة.

هـ- الحرص على سلامة الأسلوب واختيار اللغة الفصيحة المعاصرة.

(١) د. خليل صابات: الصحافة، ص (٢٥٤).

و-الحرص على تنوع الموضوعات لتشمل بيان رأي الإسلام في جميع مجالات الحياة بحيث تشمل جميع الاهتمامات والتخصصات.

٤-الإعلانات والملصقات.

تأتي أهمية الإعلانات والملصقات وفائدتها في أنها تذكر بالأمور والحقائق التي تنوسيت في المجتمع الإسلامي أو يتناساها الناسي رغم وضوحها وكونها من المسلمات، وذلك مثل: الصلاة، الحجاب، الصدق، تقوى الله، ذكر الله، غض البصر، مساعدة المحتاج، إرشاد الضالة...إلخ.

فيمكن أن توضع اللافتات الجميلة التي يمكن أن تساهم في تجميل البيئة على ناصية الشوارع والطرق مثل:

١-الصلاة أولاً.

٢-قم إلى الصلاة متى سمعت النداء.

٣-الحجاب عفة وطهارة.

٤-شرف المرأة حجابها.

٥-﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾.

٦-"اتق الله حيثما كنت".

٧-"لا يزال لسانك رطبا بذكر الله".

٨-"اذكر الله".

٩-"الدين حسن الخلق".

١٠-"إمطة الأذى من الإيمان"...إلخ.

لاشك أن كل واحدة من هذه الجمل الموجزة تمثل رسالة كاملة، أو هي خلاصة كتاب أو مجلد كبير، فهي تذكر بفضيلة أو تدعو إلى خصلة من خصال الخير قد يغفل المسلم عنها في زحمة الحياة ومادياتها.

ولتطوير هذا الأمر نقترح الآتي:

١-اهتمام الأجهزة المعنية بالبيئة مثل مجلس الحي أو المدينة أو المحافظة أو البلدية بمثل

هذه الأمور وتشجيع الناس عليها بدلا من منعها وإزالتها.

٢- تقدم الدعم المادي لها من تلك الأجهزة بحيث توضع تلك اللافتات في شكل حضاري جميل، ويمكن أن يخصم جزء من قيمة الضرائب والعوائد والمرافق ونحو ذلك لواقعي مثل هذه اللافتات الجميلة.

٣- يمكن أن تستخدم هذه اللافتات كدعاية للمحال التجارية بحيث يقترن اسم المحل أو الشركة التجارية مع الإعلان مثل: "الصلاة أولا" (مع تحيات شركة كذا..). وفي مقابل ذلك تعفى هذه الشركات من دفع رسوم الدعاية للحل أو المدينة.

٥- الحاسوب وأقراص الليزر (CD) .

يمكن الإفادة من الحاسوب في كتابة الرسائل الدعوية وإرسالها، وكتابة الكتب والمؤلفات الدعوية وإعدادها للطباعة ونحو ذلك، ويمكننا الحديث في تطوير استخدامه الدعوي في أهم منتجاته أو مخرجاته في صورة:

- أقراص الليزر (CD):

ويمكن الإفادة منها في تطوير منهج الدعوة بالآتي:

أ- أن تقوم هيئات الدعوة والإرشاد بإنتاج اسطوانات توزع على الدعاة تشمل:

١- مكتبة إسلامية متكاملة لخدمة الداعي.

٢- الموضوعات والقضايا الإسلامية المعاصرة.

٣- أهم الخطب العصرية التي ينبغي أن يطرحها الدعاة مع الخطب التقليدية (مكتوبة).

٤- خطب أهم الدعاة والمشايخ المشهورين الذين ينبغي احتذاء أسلوبهم ومنهجهم في الدعوة إلى الله (مكتوبة ومسموعة).

٥- توزيع هذه الاسطوانات على الدعاة بالمجان.

٦- البريد الإلكتروني.

ويمكن تطوير الإفادة منه بالآتي:

إرسال الرسائل بالبريد الإلكتروني (الإميل E-mail) عبر شبكة الإنترنت في المناسبات

الدينية إلى الشخصيات السابق ذكرها تهنتهم بالمناسبة، وتذكرهم فيها بتحديد العهد مع الله تعالى.

ويمكن إرسال مثل ذلك بالفاكس أو البرق أو البريد العادي.

إرسال الإصدارات الجديدة من أشرطة الكاسيت أو الفيديو أو الـ CD الاسطوانات الإلكترونية المضغوطة لأهم الدعاة المؤثرين في الأمة في صورة هدايا مجانية مع كروت تحية أو ما شابه ذلك للشخصيات المهمة الذين سبق الإشارة إليهم ويمكن إرسال ذلك كله مكتوباً ومقروءاً عن طريق النت والبريد الإلكتروني.

إرسال الإصدارات الجديدة من الكتب والرسائل الصغيرة المؤثرة لأهم الدعاة المؤثرين في صورة هدايا كذلك للشخصيات المذكورة.

٤- إرسال التوجيهات والنشرات والدوريات والأخبار الدعوية الهامة كأخبار المسابقات الدينية وخلافه للعاملين في الدعوة عن طريق البريد الإلكتروني.

٥- إرسال بطاقات التعارف والدعوة الدينية للشخصيات الهامة.

٦- إرسال بطاقات التهنية والتذكير بالاستقامة للشخصيات الهامة.

رابعاً: الوسائل التخطيطية

ويشمل المباحث التالية:

١-التخطيط بين السرية والجهرية

٢-التخطيط بين الفردية والجماعية

ويشمل الأشكال التالية:

أ-دعوة الفرد للفرد

ب-دعوة الفرد للجماعة

وتنقسم للأشكال التالية:

١-الجلسة أو المحادثة.

٢-المحاضرة.

٣-الخطبة.

٤-الندوة.

٥-المؤتمر...إلخ.

ج-الدعوة الجماعية والعمل الجماعي:

ويشمل المباحث التالية:

(أ)مشروعية العمل الجماعي والدعوة الجماعية.

(ب)أصول العمل الجماعي وشروطه وضوابطه.

(ج)صوره وأشكاله المقترحة في الواقع المعاصر.

٣-الدعوة بين التدرج والتسرّع.

ويشمل:

أ-التوفيق بين كمال الشريعة والتدرج في التبليغ.

ب-الدعوة إلى التدرج من منطلق الحكمة.

ج-التدرج لا يعني كتمان الدين.

د-لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

هـ- التدرج في الفروع لا الأصول.

و- خطر الاستعجال في الدعوة إلى الفروع.

ز- الدعوة إلى الأهم فالأهم.

ح- مقياس الأهمية نصوص الشريعة.

٤- الدعوة بين الإجمال والتفصيل.

٥- الدعوة بين المقامية والانتقالية.

أ- الدعوة المقامية.

ب- الدعوة الانتقالية (ميادين الدعوة).

١- المساجد.

٢- الأندية.

٣- أماكن العمل.

٤- قوافل الدعوة.

٥- القرى والمدن المجاورة.

٦- الدعوة خارج القطر.

أولاً: التخطيط بين السرية والجهرية:

لا نقصد بالسرية هنا أن يتحول الدعاة إلى خفافيش يخفون دعوتهم ويسرون بها من وراء الظلمات.

فمثل هذه الدعوات السرية لا تكون دعوة شريفة في غالب الأمر بل لم يعرف تاريخ العالم - في الغالب - فن تلك الدعوات السرية إلا ما يخفي وراء الشر والغدر ولا تكون الدعوة ذات سرية مطلقة إلا إذا كانت دعوة هشة لا تملك من الحجج والبراهين ما يمثل قناعة لدى عقلاء البشر ومنصفينهم ممن يبتغون الحق وينشدونه؛ لذا فهي تخفي عقائدها وأفكارها وتجعلها قاصرة على طائفة معينة من السذج أو ذوي الأطماع والحاجات الذين وجدوا في هذه الدعوة السرية سبيلاً إلى تحقيق مطامعهم.

ولذا فنحن نحذر بشدة شباب المسلمين من ترك سبيل الدعوة الواضحة البينة الساطعة

على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، واتباع ما عدا ذلك من الدعوات السرية التي يسيطر فيها شخص ذو طبيعة خاصة على مجموعة من الأفراد غالباً ما يكونون من الشباب المتعجلين لتغيير واقعهم بلا حكمة ولا روية^(١).

فالدعوة الإسلامية لا تعرف السرية المطلقة، فالسرية فيها تكون جزئية لبعض الأمور، ولا يشمل ذلك بالطبع المفاهيم الأساسية للعقيدة إلا في حالات التعرض للهلاك المحقق بسبب إظهار تلك العقيدة، وقد تكون السرية مرحلية في وقت دون وقت في بعض الأمور لا في الأمور كلها.

فقد رأينا كيف بدأ النبي ﷺ بالدعوة إلى الإسلام سرّاً في السنوات الثلاث الأولى، وكان ذلك موافقاً تمام الموافقة لحال الدعوة في هذا الوقت حيث كان يخشى أن يطلع صناديد الشرك على أمر الدعوة فيقضوا عليها وهي في مهدها.

فلما اشتد ساعد الدعوة وقوي عودها جهر النبي ﷺ بدعوته حيث أصبح لها من الأتباع والأنصار ما يأمن به استئصال شأفة الإسلام والمسلمين.

وإذا أردنا أن ننظر في تطبيق هذه الوسيلة التخطيطية في واقعنا المعاصر، فإننا ينبغي ألا نخدع بأن الإسلام قد ملأ ربوع الدنيا من مشرقها إلى مغربها، وأن عدد المسلمين اليوم يقدر بالمليارات؛ ففي الحقيقة أن هذه مظاهر خادعة، فالمقياس لا يكون أبداً بالكثرة، وقد أخبر النبي ﷺ أن الأمم سوف تتداعى على المسلمين كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها وهم مع ذلك كثير، ولكن كثرة كغناء السيل^(٢).

وفي ضوء ما سبق عرضه من المؤثرات الخارجية والداخلية على مسيرة الدعوة الإسلامية اليوم، وفي ضوء هيمنة العولمة، وسيطرة الإمبراطورية الأمريكية على العالم عامة، وعلى الشعوب العربية الإسلامية خاصة، يتبعها في ذلك قوى الشر العالمية الذين

(١) لنا في تفصيل هذه النقطة رسالة بعنوان: "تحذير البرية من آفات الدعوة السرية" يَسِّرُ الله طبعها وإخراجها.

(٢) الحديث أخرجه أحمد وأبو داود من حديث ثوبان مرفوعاً بسند صحيح وفيه أن رسول الله ﷺ قال: "يوشك أن تتداعى...." الحديث.

استقطبتهم أمريكا أو تحالفت معهم كبريطانيا وغيرها، في ضوء تلك الظروف السياسية والعسكرية الراهنة نستطيع أن نؤكد ما هو واقع ملموس للجميع أن الإسلام والمسلمين صاروا مستهدفين لقوى الشر في العالم أجمع، وأن الإسلام والمسلمين اليوم يواجهون حرباً ضروساً من جهات عديدة من أعداء الإسلام، فما بين يهودية محتلة طاغية، وما بين صليبية حاقدة، أو شيوعية ملحدة على اختلاف جهات تلك الطوائف وتوزعها الجغرافي بين الشرق والغرب.

وأعود فأقول ينبغي على دعاة المسلمين في ظل هذه الظروف الراهنة أن يكون لديهم ما يخفونه وما يحتفظون به لوقته وحينه.

فكما أن النبي ﷺ لم يكن يجهر بعداوة المشركين في مهد الدعوة رغم اتصاف النبي ﷺ بالبراءة التامة من الشرك وأهله، ومع ذلك فقد كان النبي ﷺ يداري المشركين فلا يستثير عداوتهم ولا يهيجهم على الإسلام والمسلمين، وإن كان في الوقت نفسه لا يدهنهم ولا يمالئهم على ما هم فيه من الشرك والباطل ممثلاً أمر الله تعالى له: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَنْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(١)، فأمره بأن يكون هجره جميلاً بحيث لا يستثير عداوة أعدائه.

فرغم الوضوح في الدعوة والمفاصلة التامة للمشركين ظهرت حكمة النبي ﷺ في عدم استثارة عداوة المشركين وغيرهم من أحزاب الكفر في مواضع عديدة كما سبق بيان ذلك^(٢).

(١) المزمّل: ١٠، وفي تفسير الحجر الجميل، قال ابن كثير فيه: "هو الذي لا عتاب معه"، ومعنى ذلك أنه ليس فيه مؤاخذه لهم ولا مناقشة، ولا استثارة خمتهم وعداوتهم، وذلك إذا ما تبين للداعي تمام صدهم عن دين الله تعالى، وعداوتهم لأتباعه بحيث لا تفلح معهم هداية، ولا تفهمهم مناقشة ولا مناظرة، ولا يجدي معهم أخذ ولا رد، وذلك كما قال تعالى ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ حيث دل بمفهومه على وجوب ترك التذكير لهم إن لم ينفع التذكير والوعظ، والله تعالى أعلم.

(٢) راجع فصل معالم منهج الدعوة في ضوء الكتاب الكريم والسنة النبوية.

فكذلك ينبغي أن تتخذ الدعوة المعاصرة الأسوة في ذلك في واقعنا المعاصر فلا تهيج قوى الشر عليها، بل يكون لديها من الحكمة ما تعرف به ما تسر وما تجهر، وما تخفي وما تعلن، وما يصلح أن يتكلم به الآن، وما ينبغي أن يؤخر إلى حين.

ثانياً: التخطيط بين الفردية والجماعية:

قد تقتضي الدعوة شكلاً من الأشكال السابقة:

أ-دعوة الفرد للفرد:

فقد يصادف الداعي شخصاً ما يطلب هدايته، أو يعرض عليه شبهة تعرض له وتحول دون هدايته، وهذه الشبه قد تكون يسيرة، وقد تكون قوية قد استحسنت بهذا الشخص واستقرت لديه.

ففي مثل هذه الحالة لابد للداعي أن يدرس جيداً حال هذا المدعو من حيث فكره وثقافته ونوع الشبه التي ألت به، ومن حيث ميوله واتجاهاته النفسانية بحيث يتخير أقرب المداخل إلى قلبه وعقله، ويتخير الأسلوب وطريقة الحوار التي تناسبه من حيث التركيز على الناحية العقلية العلمية التأملية، أو القلبية الوجدانية العاطفية، ونحو ذلك.

ب-دعوة الفرد للجماعة:

على القائمين على الدعوة في هذه الحالة أن ينظروا في اختيار أفضل الأشكال المناسبة لدعوة هؤلاء الجماعة من حيث عددهم وثقافتهم وطبيعة الموضوع الذي تم التحدث بصده ونحو ذلك.

١-الجلسة أو المحادثة:

فإذا كان العدد قليلاً بين الثلاثة ودون العشرة فالأمر "بحتاج لأكثر من جلسة يتخير لها المكان المناسب ليأخذ الحوار شكل المحادثة الأخوية الهادئة بغية الوصول إلى الحق في موضوع ما يرجي دعوة هؤلاء الأشخاص إليه، أو لترغبهم في الإسلام والالتزام به على العموم وعرض محاسنه وبيان فضائله، ولكن لا يتحتم اختيار هذا الشكل (الجلسة) إلا إذا كان هناك موضوع خاص هؤلاء الأشخاص.

٢- المحاضرة:

فإذا كان العدد أكثر من ذلك وكان الموضوع عاماً فالأنسب لذلك أن تكون محاضرة، فالمحاضرة إنما تكون في الموضوعات العامة التي تخص المسلمين كافة، أو تخص قطاعاً كبيراً منهم، مثل قطاع طلاب الجامعة، أو قطاع التجار، أو المهنيين، أو الفلاحين أو الشباب أو النساء... إلخ.

٣- الخطبة:

ولها مواضع محددة، منها:

أ- خطبة الجمعة والعيدين حيث تكون فرضاً لازماً.

ب- المناسبات الحماسية الخاصة التي تحتاج إلى إلهاب مشاعر الجماهير وحثهم على أمر ما. وتحتاج الخطبة إلى جمهور كبير أو قطاع معين من الناس يراد إثارته وتوجيهه لعمل خيري معين.

٤- الندوة:

المستعارف عليه أن الندوة اصطلاح لاجتماع جماعة من الناس في مكان ما للحديث حول موضوع معين، والإجابة على ما يثار حوله من تساؤلات.

وهذا الشكل من أشكال الدعوة يكون أكثر مناسبة حينما تكون هناك قضية ما تثير العديد من التساؤلات، أو تثور حولها الشكوك والشبهات، فيتم استضافة عالم أو أكثر في مكان ما (مدرسة - جامعة - قطاع عمال... إلخ) للحديث حول هذا الموضوع والإجابة على تساؤلات الناس حوله.

وهذا الشكل مفيد جداً بالنسبة لقضايا الشباب وما يعترهم من الشكوك والشبهات حول كثير من القضايا.

٥- المؤتمر:

يطلق هذا الاصطلاح على اجتماع عدد من العلماء والمشايع والباحثين لكي يدلوا بآرائهم وأطروحاتهم وأبحاثهم حول موضوع من الموضوعات التي يثار حولها الجدل، وتحتاج الأمة إلى كلمة حاسمة فيها، يلتقي فيها العلماء أو جمهورهم على كلمة سواء،

وهذا الشكل له أهمية كبيرة لتصفية الخلافات بين علماء الإسلام ودعائهم، ولكي تظهر كلمة الدعوة أكثر اتحاداً واتفاقاً فيكون لها قبول أكبر، حيث إن اختلاف العلماء والدعاة كثيراً ما يكون سبباً من أسباب نفرة الكثير من العامة ومن يستفزهم الشيطان نحو الباطل فيتخذون من اختلاف العلماء والدعاة ذريعة يحتجون بها عليهم ويدعون وقوعهم في الاضطراب والبليلة فينصرفون عن العمل بسبب ذلك بزعمهم.

هذا فضلاً عن أن اتحاد علماء المسلمين ودعائهم يئس أعداء الإسلام الحاقدين والمتربصين به من الطمع في إثارة الفتن والفاقل والبلابل بين العامة والعمل على تفريق الصف.

ج-الدعوة الجماعية والعمل الجماعي:

مقدمات:

١- ينبغي التفريق أولاً بين العمل الجماعي والعمل في جماعة؛ فالعمل الجماعي بشروطه وضوابطه التي سيأتي بيانها لا يمكن تركه أو الاستغناء عنه بحال ما بقي مسمان على ظهر الأرض، وذلك لأن من العمل الجماعي صوراً مفروضة على المسلمين يجب عليهم القيام بها جماعة كالصلاة والحج ومن ثم لا يمكن ترك العمل الجماعي أو القول ببطلانه؛ وذلك لأن الاجتماع على الأعمال الصالحة كالصلاة والحج والجهاد والتعلم، وتدير شئون المسلمين، وإقامة فروض الكفايات اللازمة لدينهم ومعاشهم وغير ذلك من الأمور التي يلزم الاجتماع لإقامتها وإيجادها، إن لم يقم بها ولي الأمر أو إن لم يكن للمسلمين ولي يهتم بإقامة تلك الأمور.

أما العمل في جماعة من الجماعات الحالية الموسومة بالتعصب وتفرق أمر المسلمين، وكذلك كل عمل جماعي يتعصب له أتباعه ويجعلونه سبباً لتفريق الأمة فكل ذلك لا يجوز الانخراط فيه بل الواجب على المسلم هو اعتزال تلك الجماعات والأحزاب والفرق المتعصبة لأفكارها وآرائها والتي فرقت المسلمين وفرقت دينهم وجعلتهم شيعاً وأحزاباً^(١)، وقد نعى الله تعالى لنبيه ﷺ قوماً فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وأخبر ببرأته ﷺ منهم تمام البراءة فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

٢- واقع الأمة الإسلامية اليوم أنها متفرقة فرقاً وأحزاباً وجماعات؛ منها ما كان سبب تفرقها الضلال والابتداع مثل الفرق القديمة (الروافض، الإباضية، الأشاعرة، الماتريدية.... إلخ)، ومنها ما سبب تفرقها التمسك بما يختلف عليه من الفروع، مثل ما يطلق عليه الجماعات الإسلامية وهي في الغالب سنية مثل (السلفية، الإخوان المسلمون، السلفية

(١) راجع في ذلك كتابنا: دراسات حول الجماعة والجماعات ط. مكتبة الصحابة - جدة، التابعين - القاهرة، حيث أطلت النفس في بيان بطلان الانضمام إلى شيء من تلك الجماعات الحالية بالأدلة الكثيرة المتضاربة.

الجهادية، التبليغ والدعوة، حزب التحرير..... إلخ).

٣- لا يجوز أن ينتقد حزب من الأحزاب أو يجتمع جماعة من الجماعات على عمل يؤثر في مصير الأمة غير مجمع عليه ولا اتفق على هذا العمل جمهورهم ولا سوادهم الأعظم؛ بل لا يجوز التحالف والتعاقد -إن جوزناه- إلا في المتفق على جوازه فقط لا في المختلف عليه، ومع ذلك فالواقع أن الأحزاب والجماعات انعقدت على المختلف عليه.

٤- إذن فالدخول في أي من هذه الجماعات ليس هو الصورة الصحيحة للالتزام جماعة المسلمين في معناها العضوي الواقعي، ولا تمثل أي من هذه الجماعات جماعة المسلمين ولا تقوم مقامها.

٥- أمامنا ثلاث طرائق للتعامل مع هذه الجماعات:

الأولى: نقضها وتفكيكها جميعاً لصالح إقامة جماعة المسلمين الواحدة (الأم) ويسبق ذلك اعتناق فكرة النقض هذه والمناداة بها والعمل على تحقيقها ومن ثم عدم الانخراط في أي منها واعتزالها جميعاً.

الثانية: النصح لها بالتخلي عما تخالف فيه (ما ليس محل إجماع من الأمة)، أو على الأقل عدم السعي لإلزام الناس به مع اعتراف كل جماعة بالأخريات والتواصل والتكافل بينها جميعاً، وعدم تحقير جماعة لما تقوم به أخرى من عمل خير وبر وجهاد وعلم يفيد الإسلام والمسلمين.

الثالثة: أن تبقى الحال كما هي عليه من قيام الجماعات واستقطاب كل جماعة من تستطيع من المسلمين إليها، وأن تتناحر فيما بينها وتتهم بعضها بعضاً وتحقر كل جماعة من أعمال الأخريات، وحينئذ تظل هذه المشكلة قائمة وتظل الجماعات حجر عثرة في سبيل قيام جماعة المسلمين الموحدة (الأم)، ولما كان هذا لا يجوز فإذن ليس من حل سوى أحد الاثنين الأولين.. تفكيك هذه الجماعات، أو التواصل والتكامل فيما بينها واعتراف كل واحدة بالأخريات، والآن وبعد أن فرقنا بين العمل الجماعي والعمل في جماعة نريد أن نلقي الضوء على أدلة مشروعية العمل الجماعي وشروطه وضوابطه كي لا يتحول إلى

الصورة المفروضة التي عليها الجماعات الحالية.

أولاً: مشروعية العمل الجماعي:

سبق أن ذكرنا أن العمل من خلال الجماعات القائمة في الأمة المسلمة ليس هو الصورة المثلى التي ينبغي أن يكون عليها العمل للإسلام فهل ثمة صورة بديلة عن هذه الجماعات المتنافرة المتناحرة؟ وما حكم العمل الجماعي في وسط هذا الواقع الذي تغلب فيه الأهواء ويسوده التنازع؟

أولاً: الأدلة على مشروعية العمل الجماعي:

١- حاجة الأمة الإسلامية للعمل والتعاون لإقامة الواجبات الجماعية التي فرض الله تعالى على الأمة القيام بها كالصلاة والحج والجهاد ونصب الأئمة والتعلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصناعات ونحوها من فروض الكفايات وغير ذلك.

٢- وجود نصوص شرعية من الكتاب والسنة تحث على العمل الجماعي منها على سبيل التمثيل لا الحصر، قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، وقوله ﷺ: "يد الله على الجماعة"، وغير ذلك الكثير من النصوص ومن مواقف السلف الصالح التي تدل على ضرورة الاجتماع وترك التفرق في العمل لدين الله تعالى.

ب- شبهات القاعدين وردّها:

١- النصوص الدالة على العزلة كحديث أبي ثعلبة الخشني في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا هْتَدَيْتُمْ﴾، قال ﷺ: "مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليكم أنفسكم والزم خاصتكم وأهلك"، وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص: "تأخذون ما تعرفون وتدعون ما تنكرون وتقبلون على أمر خاصتكم وتدعون أمر عامتكم"، وحديث حذيفة: "فاعتزل تلك الفرق كلها..".

الرد: يقال للمستدل بهذه النصوص وأشباهها: هي حجة عليكم لا لكم؟ ألا ترى إلى قوله ﷺ: "مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر" يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يستيقن المرء ألا يجيب له: فإن قيل هذه النصوص تشير إلى زمن يجوز فيه ترك الأمر والنهي. قلنا ليس هذا بزماننا. فلا نسلم بأن الإعراض والفساد قد أطبق الأرض،

وإنما هما في مكان دون مكان، فإن قلتم حدث ذلك في ديارنا قلنا وجب قبل ذلك بذل الجهد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للناس حتى إذا تأكدنا من وقوع الإعراض الذي يسوغ اعتزالهم اعتزلناهم.

-وزمان الغربة لا يعني ترك العمل الجماعي والتعاون على البر والتقوى لأمرين:

الأول: أننا وإن سلمنا بأننا قد صرنا إلى زمن الغربة التامة الذي يسود فيه "شح مطاع وهوى متبع ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه" وسلمنا بشيوع الإعراض وغلبة الفساد على العباد والبلاد، فإننا لا نسلم بأن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو علة خيرية هذه الأمة لا نسلم أنه صار غير جائز وذلك لأمرين:

أولاً: أن سقوط الوجوب لا يعني سقوط الأمر نفسه، بل يكون قد رفع الحرج فيه نظراً لما يلاقي الداعي في هذا الزمان من عنت وشدة، إلا أنه يبقى بعد ذلك مشروعاً، بل يبقى فضيلة لصاحبه وشرفاً وذخراً له في الآخرة، وجهاداً يتقرب به إلى الله لأنه إن كان سبب سقوط الوجوب عنه هو مظنة العنت والشدة وعدم الانتفاع بالذكرى، إن كان هذا هو السبب فنقول إن الشرع قد استحسّن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً في هذه الحالة، وإن كان قد أسقط الوجوب رفعا للحرج وذلك كما في حديث "سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله"^(١)؛ فهذا يكون سيد الشهداء رغم أنه يغلب على ظنه أن سيؤذى أو يقتل وأنه لن يستجاب له، ومع ذلك فالبلاغ مستحب له إقامة لحجة الله على عباده.

ثانياً: لا نسلم بأن وجوب البلاغ يسقط عن الكافة، بل إنه يبقى فرض كفاية على القادرين عليه إذا قام به البعض سقط عن الباقين، فإن لم يقم به أحد أثم جميعهم وذلك لتعين البلاغ على العالم به من الأمة وإن لاقى في سبيله ما يلاقي فإن دين الله يُفتدى بالأنفس والمُهَج وبالعالي والرخيص، ولذا أوجب الله القتال على الأمة وفيه إهلاك

(١) أخرجه الحاكم ١٩٥/٣ وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة ح/٣٧٤.

النفوس، فيجب الانتباه إلى أن جواز (السكوت عن قوة أهل الفجور وأذاهم للنهائي إنما يقتصر على العامة من المستضعفين، وأما الدعاة والقادة والعلماء فيأخذون بالعزيمة، ويصدعون بالحق وإن لحقهم الأذى والعذاب والموت، كما بينه ابن تيمية وكما بينه غيره. وكما كانت سيرة الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- في أيام محنة خلق القرآن).

ثالثاً: إذا سلمنا بسقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن المسلم إزاء عامة الناس المعرضين عن دين الله تعالى علماً وعملاً، فلا نسلم بسقوط ذلك عنه تجاه إخوانه وخاصته الملتزمين بدين الله تعالى علماً وعملاً.

أما الأمر الثاني الذي لا يجوز لأجله سقوط العمل الجماعي في هذا الزمان فهو:

أنه على فرض شيوع الفساد والإعراض فلن تكون -مع ذلك- أنت المسلم الوحيد الملتزم بدين الله تعالى حينئذ بغير شح مطاع ولا هوى متبع ولا دنيا مؤثرة ولا إعجاب برأيك، بل نقول إنك لا بد أن تجد لك في هذا الزمان أشباهاً لك ونظراء في ذلك وإن كانوا قلة إلا أنهم هم خاصة ذلك الزمان الواجب عليك لزومهم والتعاون معهم على البر والتقوى في عمل جماعي مشروع لا يفرق أمر الأمة.

ألا ترى إلى قول النبي ﷺ: "والزم خاصتك" وذلك في حديث أبي ثعلبة الذي قد احتججت به على ترك العمل.

وألا ترى إلى قول النبي ﷺ في حديث عبدالله بن عمرو كذلك "تقبلون على أمر خاصتكم وتدعون أمر عامتكم".

فها هو الحديث نفسه الذي قد احتججت به على ترك العمل الجماعي والتعاون مع إخوانك فيه، يأمرك فيه النبي ﷺ بأن تقبل على خاصتك فتلزمهم وتعاون معهم على إقامة دين الله تعالى بلا عصبية ولا اختلاف مفرق، وقد جاءت صيغة التكليف خطاباً إلى جماعة المسلمين الذين برئوا من آفات هذا الزمان، وليس خطاباً لمسلم معتزل في شعف الجبال: (تقبلون وتأخذون وتدعون).

هكذا خطاب للجماعة مما يدل على بقاء العمل الجماعي إلى آخر الزمان، لأنه لا معنى للإقبال على الخاصة ولزومهم لزوم الأبدان للأبدان، فلم يكن إلا لزوم المنهج والعمل

والتعاون على كل ما هو بر وتقوى مما لا تفتقر عليه الأمة شيئاً.

-وهل يعني اعتزالك الفرق اعتزال الناس والطائفة المنصورة من الفرقة الناجية مع استمرارها؟.. "لا تزال"؟ وقوله: "طائفة" مما يدل على الاجتماع، وقوله: "ظاهرين" الذي لا يتحقق مع اعتزالهم الناس واعتزال الناس إياهم واعتزال بعضهم بعضاً.

٢- الشبهة الثانية:

كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية يخطئ القاعدون في فهمه من وجوه:

أحدها: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض باتفاق، ولكن يختلف في ما إذا كان فرضاً على التعيين أو على الكفاية، وإذن ففرضية الكفاية ليست مطلقة ثم إن فرض الكفاية لا بد أن يتعين أحياناً كثيرة.

الثاني: مع التسليم بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية وهي حجة القاعدين فشرط الخروج من عهدة الفرض الكفائي حصول الكفاية. بمن يقوم به ولما كانت الكفاية غير حاصلة فيجب أن يقوم بهذا الواجب كل مسلم حسب قدرته^(١).

الثالث: أن الدعوة إلى الخير -وأعلاها الدعوة إلى الله- واجبة على كل مسلم بقدر استطاعته... قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

٣- الشبهة الثالثة: أن الدعوة مختصة بالعلماء دون غيرهم: (ولاشك أن الدعوة إلى الخير وأعلاها: الدعوة إلى الله، مشروط لها العلم، ولكن العلم ليس شيئاً واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض، وإنما هو بطبيعته يتجزأ ويتبعض، فمن علم مسألة وجهل أخرى فهو عالم بالأولى جاهل بالثانية، ومعنى ذلك أنه يعد من جملة العلماء بالمسألة الأولى، وبالتالي يتوفر

(١) عبد الكريم زيدان: "أصول الدعوة" ص(٢٧٥)، دار الوفاء ط. ١٩٨٧م، مصر.

(٢) يوسف: ١٠٨.

فيه شرط وجوب الدعوة إلى ما علم دون ما جهل، ولا خلاف بين الفقهاء أن من جهل شيئاً أو جهل حكمه أنه لا يدعو إليه، لأن العلم بصحة ما يدعو إلى الله بالقدر الذي يعلمه كما سنبينه فيما بعد، ويكون هذا المعنى هو المقصود من قولهم إن الدعوة تجب على العلماء لا على غيرهم. أي على من يعلم المسألة وحكمها التي يدعو إليها، سواء كان من عامة المسلمين أو ممن نال حظاً كبيراً من العلم. وبهذا يظهر فساد قول من قال: إن المقصود بالعلماء هم الذين نالوا حظاً كبيراً من العلم دون سواهم، وقد يسموهم برجال الدين، لأن هذه التسمية تصدق على كل مسلم، فهو من رجال الإسلام، وليست مقصورة على فئة منهم^(١).

ثانياً: أصول وشروط العمل الجماعي:

أولاً: أن يكون المجتمعون على منهاج النبوة لا غير على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في العقيدة والمنهج والخلق والعمل جميعاً (وأن يلزموا ما أجمع عليه المجتهدون من أهل السنة والجماعة).

ثانياً: أن يكون العمل في كافة صوره مع خاصة تجردت من آفات أهل هذا الزمان من شح مطاع وهوى متبع ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه.. وغير ذلك، والتي من شأنها أن تعوق العمل الجماعي أو تحول دون ثمرته.

لذا فقد وجب أن يكون العمل مع خاصة تتصف بالبراءة من آفات العاملين في هذا الزمان وتتصف بأضداد هذه الآفات من كريم الخلال والصفات لذا يجب التحقق من وجود صفات معينة في الأشخاص الذين يتم اختيارهم للعمل معهم، وهذه الصفات هي:

- ١-تحقق صفة الانتساب إلى جماعة المسلمين بالالتزام بدين الله تعالى علماً وعملاً.
- ٢-عدم التعصب لحزب أو جماعة أو شيخ أو رأي أو عمل يفارق فيه جماعة المسلمين فإن ذلك كله دعوى الجاهلية^(٢).

(١) السابق ص(٢٧٤).

(٢) انظر كلام ابن القيم في ذلك ضمن: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية: بكر بن عبدالله أبو زيد، ط. دار ابن الجوزي بالمملكة العربية السعودية.

٣- أن يتصف بعكس ما غلب على الناس من الشح المطاع وإيثار الدنيا، فيتصف ببذل النفس والمال لدين الله تعالى، والتضحية في سبيله بكل غال ورخيص، وإيثار دين الله تعالى على نفسه وولده وأهله وعشيرته وتجارته ووطنه وطيب عيشه.. إلخ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾^(١)، وذلك لأن العمل لدين الله تعالى جهاد والجهاد قائم على التضحية والإيثار، فإذا اعتمدنا في العمل على شحيح بنفسه يؤثر دنياه على آخرته فإنه سرعان ما يخذل إخوانه في المهمات ولا يصير في المحن والملمات فيعرض إخوانه للفشل أو الهلاك.

٤- أن يتصف بعكس ما اتصف به غالب الناس في هذا الزمان من اتباع الهوى وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فيعرف باتباع الحق وإيثاره، والانقياد للشرع وعدم التعصب لرأيه أو عقله أو هواه، غير مفرق لكلمة المسلمين ولا مفارق لجماعتهم، وإلا فإن كان ممن يتبع هواه ويعجب برأيه فإنه سرعان ما يفارق إخوانه عند أول أمر يختلفون عليه، فيفتح بذلك باب الفرقة والشقاق ويهدم صرح الاجتماع والوفاق.

٥- أن يتصف بصفة هامة، وهي محصلة ما سبق من الصفات، وهي هضم نفسه والخط من ذاته والتواضع لإخوانه والذلة لهم، فإن هذه هي صفة القوم الذين يستبدل الله تعالى بهم، ويختارهم لنصرة دينه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

٦- أن يتصف بعكس ما شاع في غالب أهل هذا الزمان من مرج العهود والأمانات فيتصف بأضداد ذلك من حفظ العهد ورعاية الأمانة، وإلا فكيف نأمن على أمرنا ممن لا يحفظ عهده ولا يرعى أمانة، فهذا إلى العصيان والتمرد والخذلان أقرب منه إلى الطاعة والانقياد والنصرة.

٧- أن يكون ربانيا له حظ ونصيب من عبادة وزهد وزكاة نفس وورع منضبط

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) المائدة: ٥٤.

متشرعاً بدين الله تعالى ملتزماً لأوامره، محتنباً لنواهيه، مجاهداً لنفسه وشهواته.

٨- أن يعرف بخلال المروءة وخصالها من الجرأة والشجاعة والنجدة والنصرة لإخوانه والثبات في الحق والصبر في جهاد الأعداء؛ وذلك لأن الجبان المتخاذل لا يصلح أن يعتمد عليه في عمل قد يعرض فيه إخوانه للخطر بسبب تخاذله وقلة ثباته في الحق، وذلك لأن الدعوة إلى الله تعالى جهاد في سبيله، والجهاد بحاجة إلى الجريء الشجاع.

٩- أن يكون عاقلاً ناضجاً ليس غراً ولا طائشاً ولا مغفلاً لأن من لم يكن كذلك، كانت مضرته ومفسدته أكثر من نفعه وكان مضراً لإخوانه وقد يكون سبباً في هلاكهم.

١٠- أن يكون حكيماً حليماً له حسن مداخلته في الأمور، فإن هذه الصفة رأس مال الدعوة حيث قال تعالى: ﴿إِذْ ذُكِّرُوا إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

فهذه أهم الصفات التي وجدتها في كتاب الله وسنة رسوله وكلام أهل العلم والدعوة مما ينبغي مراعاتها فيمن يختار للعمل معه لنصرة دين الله تعالى وإقامته.

ثالثاً: ألا يكون اجتماعهم على أصول أو أفكار أو مبادئ أو رأي أو اجتهاد أو عمل يفارقون به جماعة المسلمين ويخالفون به سوادهم الأعظم من أهل الحل والعقد، سواء كان ذلك في المنهج والاعتقاد أو كان ذلك في الرأي والحرب والمشورة، (لذا فهم لا يقدمون على عمل شيء قبل عرضه على أهل الحل والعقد والتأكد من اجتماعهم أو اتفاق جمهورهم عليه).

رابعاً: أن يجتمعوا على أنهم مجموعة من المجموعات العاملة لدين الله تحت جماعة المسلمين العامة وليسوا هم وحدهم جماعة المسلمين، لذا فهم لا ينكرون على الخارج عنهم فلا يكفرونه ولا يأثمونه، لأنهم لا يرون مجموعتهم لازمة لأفرادها ولا لغيرهم من المسلمين.

(١) النحل: ١٢٥.

خامسًا: ألا يجعلوا لأفراد العمل تميزًا عن غيرهم ممن ليس في هذا العمل، بحيث لا يكون للحليف منزلة أعلى من غير الحليف من جهة المحبة والولاء والنصرة.

بحيث لا يكون للحليف منزلة أعلى من غير الحليف من جهة المحبة والولاء والنصرة.

فلا منازعة في أن البيعة التي يعقد أصحابها الولاء والبراء على أساسها فيكفرون من عداهم أو يبدعونه، ويفرقون بها كلمة الأمة ببيعة مردودة باطلة باعتبار ما أفضت إليه من هذه المفاصد، وقد تقرر في الأصول أن للذرائع حكم المقاصد حلا وحرمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدًا بموافقته على كل ما يريده؛ وموالاته من يواليه؛ ومعاداة من يعاديه؛ بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقًا ولًا، ومن خالفهم عدوًّا باغيا؛ بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله؛ ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله؛ ويحرموا ما حرم الله ورسوله؛ ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله^(١)).

سادسًا: ألا يتعصبوا لشيخهم أو لجماعتهم أو لأعمالهم التي يعملونها بل لا يبالون أن يعمل المسلم عملا جماعيا مع أي فريق من إخوانه الراشدين ممن لزموا ما عليه جمهور الأمة ولم يفرقوا كلمتها.

وعليهم ألا يتعصبوا لأرائهم بأن يستمعوا لآراء المخالفين لهم بغرض الوصول إلى الحق والاجتماع عليه، فإن اجتمعت الكلمة فيها ونعمت، وإلا فليدعوا ما اختلفوا فيه، وليقفوا عند ما اجتمعت عليه كلمتهم.

هذا وقد بلغت آثار هذا الداء -داء التعصب- في الجماعات الحالية اليوم مبلغًا خطيرًا فالناظر إلى أحوال كثير من المسلمين اليوم يرى كيف يستبيح الواحد لنفسه أن يشهد بالزور ويستحل الظلم في حق من يخالفه الرأي وهو من أهل دينه وملته، ويشهد بالباطل

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، ط. دار الرحمة للنشر والتوزيع، بالقاهرة.

حمية لمن يحبه، وهذا المرض للأسف منتشر بين كثير من منتسبي الجماعات الإسلامية فإنه يحملهم التعصب لجماعاتهم على الخبايا لها، والشهادة لها بالزور واستحلال الكذب على الجماعات المنافسة أو المخالفة، ونادراً ما تجد من يشهد بالحق، وهذا من الأمور التي زهدت كثيراً من الناس في الانضمام إلى جماعات الدعوة، واتخذها بعض الكتاب دليلاً على تحريم العمل الجماعي^(١).

سابعاً- ألا ينكروا ما مع غيرهم من الحق والعمل المشروع، ولا ينكروا فضلهم وما يقدمونه للأمة، من خير، بل يثنون على المحسن في إحسانه، وينصحون للمسيء في إساءته، ولا يمنعون من مشاركة غيرهم في أعمالهم المتفق عليها بين الأمة، ما أمكنهم ذلك.

وهذا أمر طبيعي ونتيجة طبيعية لترك التعصب لعمل بعينه، بل إن التعصب لصورة معينة من صور العمل حتى تغلب على صاحبها ويعرف بها مع تقصيره فيما عداها من صور العبودية يعد آفة من آفات العبودية كما بينه ابن القيم -رحمه الله- وسيأتي كلامه في النقطة المقبلة- كما أن هذه الصورة المقتبة من صور التعصب الداعية لإنكار ما مع الآخرين من الحق، هو من سمات الفرق الضالة من أهل الكتابين من قبلنا، وقد استفاضت النصوص بالنهي عن مشابكتهم، وقد كان ذلك بسبب هلاكهم، لأنه كان سبباً لسخط الله تعالى عليهم ولعنه إياهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد ذكره للآيات والأحاديث الناهية عن مشابكة أهل الكتاب فيما كانوا عليه من التفرق والاختلاف: (روى الترمذي بن سيرة عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رجلاً قرأ آية؛ سمعت النبي ﷺ يقرأ خلفها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي ﷺ، فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهية، قال: "كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا" رواه مسلم.

نهى النبي ﷺ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من

(١) أصول العمل الإسلامي - عبدالرحمن عبدالخالق - (ص ٢١).

الحق؛ لأن كلا القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلکوا^(١).

أما من تقدم واجتهد في عبادة من العبادات مع تحقيق الحد الأدنى من سائر العبادات التي كلفه الله تعالى بها مع عدم إنكاره على مخالفه في عبادة مشروعة أو عمل مشروع، فهذا لا يلام وإنما اللوم على من غلبت عليه عبادة أو عمل ما مع تقصيره في غيره من الواجبات التي كلفه الله تعالى بها حتى يعرف بتلك العبادة وحدها التي برع فيها أو يعرف بذلك العمل وحده مع تقصيره في غيره، والحق أن المسلم الذي يلتزم بالدين من جميع جوانبه يكون حاله في ذلك مشابهاً لحال سلفه الصالح مع مخالفهم، فيصبح (على حالة تشبه حالة الإمام الشهير عبدالرحمن بن بطة الحافظ مع أهل زمانه حيث يقول عن حاله في رحلاته الكثيرة: أكثر من لقيت بها موافقاً أو مخالفاً، دعاني إلى متابعتي على ما يقوله، وتصديق قوله والشهادة له، فإن كنت صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك - كما يفعله أهل هذا الزمان - سماني موافقاً وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفاً، وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد، سماني خارجياً، وإن قرأت عليه حديثاً في التوحيد سماني مُشبهاً، وإن كان في الرؤية سماني سالمياً، وإن كان في الإيمان سماني مرجئاً، وإن كان في الأعمال، سماني قدرياً، وإن كان في المعرفة سماني كرامياً، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر، سماني ناصبياً، وإن كان في فضائل أهل البيت، سماني رافضياً، وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلا بهما، سماني ظاهرياً، وإن أجبتهما بغيرهما، سماني باطنياً.

وإن أجبته بتأويل، سماني أشعرياً، وإن جحدتهما، سماني معتزلياً، وإن كان في السنن مثل القراءة، سماني شفعوياً، وإن كان في القنوت - يريد القنوت في الوتر دائماً، أما القنوت في صلاة الصبح، فالشافعية هم الذين يلتزمون به - سماني حنفيّاً، وإن كان في القرآن، سماني حنبليّاً، وإن ذكرت رجحان ما ذهب كل واحد إليه من الأخبار - إذ ليس في

(١) شيخ الإسلام: اقتضاء الصراط المستقيم - (ص ٣٠ ط دار التراث).

الحكم والحديث محابة -قالوا: طعن في تركيبتهم....، ثم أعجب من ذلك أنه يسموني فيما يقرءون علي من أحاديث رسول الله ﷺ ما يشتهون من هذه الأسماء؛ ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم أسخطت الله تبارك وتعالى، ولن يغفروا عني من الله شيئاً. وإن مستمسك بالكتاب والسنة وأستغفر الله الذي لا إله إلا الله وهو الغفور الرحيم).

قال الشاطبي: (هذا تمام الحكاية فكأنه -رحمه الله- تكلم على لسان الجميع. فقلما نجد عالماً مشهوراً أو فاضلاً مذكوراً، إلا وقد نبذ بهذه الأمور أو بعضها، لأن الهوى قد يداخل المخالف، بل سبب الخروج عن السنة الجهل بها، والهوى المتبع الغالب على أهل الخلاف، فإذا كان كذلك حمل على صاحب السنة أنه غير صاحبها، ورجع بالتشنيع عليه والتقييح لقوله وفعله، حتى ينسب هذه المناسب)

ثامناً- ألا يتميزوا عن جماعة المسلمين العامة باسم أو رسم أو شعار ما لم يكن ذلك على سبيل التناسق والتعاون والتآلف والتعاقد، ولا يكون ذلك إلا باجتماع كلمة هذه المجموعات والجماعات على متبوع مطاع يوزع عليها أعمالها ويؤلف بينها، فيكون التميز لتقسيم الأعمال والأدوار، فيعرف كل فريق يعمل لا يعارض به غيره، بحيث يكون اختلاف الاسم والشعار دالاً على اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد.

وفي هذه النقطة والتي قبلها يقول ابن القيم -رحمه الله- في علامات أهل العبودية: العلامة الثانية قوله: (ولم ينسبوا إلى اسم) لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق.

وأيضاً فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال. فإن هذه آفة يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها. فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها. فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم. فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحى. بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول. وعن طريقه قال: الاتباع. وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى. وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة. وعن مقصده ومطلبه؟ قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وعن

رباطه وعن خناكاه؟ قال ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾^(١) وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

يقول الشيخ بكر أبو زيد -حفظه الله: (وهذه الفرق: العقديّة، والسلوكيّة، والسياسيّة تساقطت أمام (جماعة المسلمين): أهل السنة والجماعة، الذين درجوا على منهاج النبوة، ولم ينفصلوا عنها ولا لحظة زمنية واحدة لا باسم ولا برسم، فليس لهم شخص ينتمون إليه سوى (النبي ﷺ) ومن قفى أثره. وليس لهم رسم ومنهاج سوى: منهاج النبوة (الكتاب والسنة) وليس لهم جماعة من المسلمين بل (جماعتهم المسلمون) إذ الأصل لا يحتاج إلى سمة خاصة تميزه، إنما الذي يحتاج إلى اسم معين هو الخارج عن هذا الأصل، ومن تلكم الجماعات التي انشقت من الأصل (جماعة المسلمين). وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد وغيره أنه ﷺ قال: "ومن دعا بدعوة الجاهلية فهو من جثاء جهنم، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين عباد الله" فهم بحق يمثلون الامتداد الطبيعي للإسلام في مجموعة وصفائه، وللمسلمين في اجتماعهم واتلافهم. ولهذا لما جاء رجل إلى الإمام مالك -رحمه الله تعالى- فقال: يا أبا عبد الله أسألك عن مسألة أجعلك حجة فيما بيني وبين الله -عز وجل-، قال مالك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، سل: قال: من أهل السنة؟؟ قال: أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي. رواه ابن عبد البر^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى: (وكذلك التفريق بين الأمة وامتحناتها لما لم يأمر الله به ولا رسوله، مثل أن يقال للرجل: أنت شكيلي. أو قرقندي. فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس في كتاب الله ولا سنة

(١) النور: ٣٦-٣٧

(٢) الانتقاء لابن عبد البر (ص ٣٥) نقلا عن حكم الانتماء.

رسوله ﷺ، ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأمة لا شكيلي ولا قرقندي. والواجب على المسلم إذا سئل عن ذلك أن يقول: لا أنا شكيلي ولا قرقندي، بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله.

وقد روينا عن معاوية بن أبي سفيان: أنه سأل عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما: (أنت على ملة علي، أو ملة عثمان؟ فقال: لست على ملة علي ولا على ملة عثمان، بل أنا على ملة رسول الله ﷺ)، وكذلك كان كل من السلف يقولون: كل هذه الأهواء في النار، ويقول أحدهم: ما أبالي أي النعمتين أعظم؟ على أن هداني الله للإسلام، أو أن جنبني هذه الأهواء؟ والله تعالى قد سمنا في القرآن: المسلمين المؤمنين عباد الله، فلا نعدل عن الأسماء التي سمنا الله بها إلى أسماء أحدثها قوم -وسموها هم وآباؤهم- ما أنزل الله بها من سلطان.

فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان^(١).

يقول الشيخ بكر أبو زيد: وقد كان المسلمون، وهم (الصحابة -رضي الله عنهم) قبل بزوغ بذرة التفرق والانشقاق ليس لهم اسم يتميزون به لأنهم كما ذكر يمثلون الإسلام، والامتداد الطبيعي له، لكن لما حصلت تلك الفرق الضالة التي يشملها لفظ (أهل الأهواء) لغلبة اتباع الهوى عليهم، ولفظ (أهل البدع) لاتباعهم ما هو خارج عن الدين أجنبي عنه، و(أهل الشبهات) لأنهم يلبسون الحق بالباطل فيشبهون به على العامة، لما حصلت تلك الفرق، منتسبة إلى الإسلام منشقة عن العمود الفقري للمسلمين، ظهرت ألقابهم الشرعية المميزة لجماعة المسلمين، لنفي الفرق والأهواء عنهم، سواء ما كان من الأسماء ثابتاً لهم بأصل الشرع:

-الجماعة

-جماعة المسلمين

-الفرقة الناجية

(١) الوصية الكبرى - (ص ١١١)، والفتاوى - (٣/٤١٥).

-الطائفة المنصورة-

أو بواسطة التزامهم بالسنن أمام أهل البدع، ولهذا حصل الربط لهم بالصدر الأول
فقليل لهم:

-السلف- أهل الحديث

-أهل الأثر- أهل السنة والجماعة

وهذه الألقاب الشريفة، تخالف أي لقب كان لأي فرقة كانت من وجوه:

الأول: أنها نسب لم تنفصل ولا لحظة واحدة عن الأمة الإسلامية منذ تكونها على
منهاج النبوة فهي تحوي جميع المسلمين على طريقة الرعيل الأول.

الثاني: أنها تحوي كل الإسلام (الكتاب والسنة) فهي لم تختص برسم يخالف الكتاب
والسنة زيادة أو نقصاً.

الثالث: أنها ألقاب منها ما هو ثابت بالسنة الصحيحة ومنها ما لم يبرز إلا في مواجهة
مناهج أهل الأهواء، والفرق الضالة لرد بدعتهم، والتميز عنهم، وإبعاد الخلطة بهم،
ولمنابتهم فلما ظهرت البدعة تميزوا بالسنة ولما حكم الرأي تميزوا بالحديث والأثر، ولما
فشيت البدع والأهواء في الخلف تميزوا بهدي السلف، وهكذا..

ومن الملاحظ أنه لو كانت الأمة في قالب الإسلام الصحيح خالية من البدع والأهواء
كما كان الصدر الأول ومقدمة السلف الصالح لغابت هذه الألقاب المميزة لعدم وجود
المناهض لها.

الرابع: أن عقد الولاء والبراء، والموالات والمعاداة لديهم هو: على الإسلام لا غير، لا
على رسم باسم معين، ولا على رسم محدد، إنما هو (الكتاب والسنة) فحسب.

الخامس: أن هذه الألقاب لم تكن داعية لهم للتعصب لشخص دون رسول الله ﷺ.

السادس: أن هذه الألقاب لا تفضي إلى بدعة ولا معصية، ولا عصبية لشخص معين ولا
لطائفة معينة فإذا قيل: (أهل السنة والجماعة) انتظم هذا اللقب هذه الخواص وهذا لا يكون
لأحد من أهل الفرق بأسمائهم ورسومهم التي انشقوا بها عن جماعة المسلمين^(١).

(١) بكر أبو زيد: حكم الانتماء- من (ص ٣٠: ٣٥) بتصرف واختصار.

وهنا يأتي سؤالان:

الأول: هو أن بعض الفرق لم تسم نفسها بل سماها الناس؟

والثاني: هو أنه من الممكن أن تطلق بعض الأسماء على من يعتقد أنهم على منهج أهل

السنة؟...

ونجيب على هذين السؤالين فنقول: اعلم أنه ليس شرطاً أن تسمى فرقة من الفرق نفسها باسم أو تسم نفسها برسم يخالف اسم ورسم أهل السنة والجماعة بل أحياناً قد يطلق الناس عليهم ذلك الاسم لأنهم تقيّدوا بعمل واحد اهتموا به وجعلوه دينهم فكان هذا منهم خطأ في المنهج أدى إلى أنهم تسموا بهذا الاسم ونسبوا إلى هذا الاسم وإن لم يكونوا هم الذين سموا أنفسهم بذلك.

وعن السؤال الثاني نقول: اعلم أنه حينما ينسب أحد ممن هم على منهاج السنة إلى اسم أو رسم يخالف اسمهم ورسولهم فإن الناس لا يستطيعون أن يسموهم أو ينسبوهم إلى اسم واحد بعينه أو مذهب أو فرقة، أو رسم وذلك لأنهم لم يتقيّدوا في عملهم بجزئية أو عمل واحد بل دخلوا في الإسلام كافة ولم يزيدوا ولم ينقصوا، فلو نسبوا فلسوف ينسبون إلى الجهاد - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الزهد - العبادة والواقع - الفقه - العقيدة والعلم إلى غير ذلك من فروع الدين وأصوله. ولقد ختم الشاطبي كلام عبدالرحمن بن بطة قائلاً: فكأنه - رحمه الله - تكلم على لسان الجميع، فقلما تجد عالماً مشهوراً وفاضلاً مذكوراً إلا وقد تسمى بهذه الأمور أ، بعضها لأن الهوى قد يداخل المخالف، وقد سبق نقل كلام الإمام الشهير عبدالرحمن بن بطة وحكايته مع مخالفه وموافقيه.

تاسعاً: أن يفرق بين الاجتماع على هذا العمل والطاعة للقائم عليه، وبين الاجتماع والطاعة للإمام الأعظم إمام المسلمين أو ولي أمرهم، وذلك حتى لا تختلط الأمور، فعليهم دائماً أن يعلموا أنهم في عمل جزئي والطاعة فيه مقيدة بحدود هذا الأمر بالشروط السابق بيانها، والله تعالى أعلم.

٣-الدعوة بين التدرج والتسرع:

أ-التوفيق بين كمال الشريعة والتدرج في التبليغ:

سبق أن عرضنا لحكمة الدعوة في التدرج في تبليغ الأحكام والتكاليف في عصر النبوة، وهذا لا إشكال فيه من جهة أن التشريع في ذلك الوقت لم يكن قد كمل بعد، وأنه كان يترل شيئاً فشيئاً. أما الآن وقد كملت الشريعة وتم الدين فتثور شبهة أمام الدعوة إلى التدرج، وهي أن الشريعة قد كملت فلا يسعنا أن نتقص شيئاً منها، ولا أن نكتم شيئاً منها.

ب-الدعوة إلى التدرج من منطلق الحكمة:

والحقيقة أن تصوير الأمور بهذا الشكل هو تصوير خاطئ أو قاصر، وذلك أن الأمر لا يتعدى العمل بمقتضى الحكمة، وذلك لأن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه.

ج-التدرج لا يعني كتمان الدين:

والأمر لم يعد ذلك إلى النقص والكتمان، فتأخير التبليغ لأمر أو إرجائه لتبليغه وبيانه في الوقت المناسب الذي يكون أكثر تحقيقاً للمصلحة الدينية، وأكثر درءاً للمفسدة كل ذلك تصرف بمقتضى الحكمة ولا يعني انتقاص الشريعة أو كتمانها.

فشتان بين من ينطلق من منطلق الإيمان بهذه الشريعة الحريص على ألا ترفض وألا يعرض عنها في وقت لا يكون المدعو مؤهلاً لفهمها أو للعمل بها، وبين من ينطلق من منطلق الكفر بهذه الشريعة وانتقاصها والإعراض عنها وكتمان تبليغها.

ومن ثم فإن التدرج في عرض الأحكام والتكاليف وأخذ الناس بها أمر شرعي، وقد فعله النبي ﷺ نفسه بعد كمال التشريع حيث قبل معاهدة قوم على الإسلام شريطة ألا يجاهدوا وألا يتصدقوا فقبل ذلك منهم في حينه، وقال إنهم سيجاهدون وسيتصدقون.

فقبل ألا يلزمهم بالدين كله في ذلك الوقت، وقبل أن يتدرج بهم في الإلزام بالأحكام والتكاليف، ولم يعد ذلك كتماناً للدين ولا إقراراً بالنقص منه، لأنه بين أنه حينما يستقر الإيمان في قلوبهم سيدفعهم للأخذ بالدين بكماله.

د-لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة:

ومع ذلك نقرر أنه لا يسع الداعي أن يؤخر البيان عن وقت الحاجة إلا في حالات الإكراه كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(١).

ولكن شتان بين البيان وبين إلزام المدعو والاشتداد عليه بتكاليف لا يرتقي إيمانه لأدائها، فلا بد من الفرق به، وحسن التلطف معه حتى يتم اقتناعه بالأمر أو تحين له الفرصة المواتية للتنفيذ، وعلى الداعي إذا وجد أن إيمان المدعو لا يرتقي إلى قبول بعض التكاليف أن ينشغل بدعوة هذا الشخص إلى ما يقوي إيمانه ويرتقي به بدلا من الإلحاح عليه فيما يضعف عن تحمله في الوقت الراهن.

هـ- التدرج في الفروع لا الأصول:

ومما ينبغي التنبيه عليه كذلك أن التدرج في الدعوة ينبغي أن يكون في الفروع لا الأصول، فأصل الدين وهو عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به والإسلام لله تعالى لا تجزئة فيه، لقول الله تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿أَقْتَرِمُونِ بِيغْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِيغْضِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِيغْضِ وَتَكْفُرُ بِيغْضِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سِيلًا﴾^(٤).

فأصل الدين إذا لا يقبل فيه التدرج ولا التجزئ ولا يتصور فيه، ولكن المقصود بالتدرج في التكليف إنما هو في الفروع والتكاليف لا غير.

و-خطر الاستعجال في الدعوة إلى الفروع:

ومما يلاحظ أن بعض الاتجاهات الدعوية المعاصرة قد تتسرع في الدعوة إلى فروع

(١) النحل: ١٠٦.

(٢) البقرة: ٢٠٨.

(٣) البقرة: ٨٥.

(٤) النساء: ١٥٠.

الدين وبعض مظاهره المميزة لأتباعه قبل أن يتم صقل المدعو وتهذيبه وتربيته التربية الإيمانية الكافية.

ويحدث من جراء ذلك أضرار عديدة منها:

١- اغترار الشخص بما جد عليه من مظاهر الدين وإحساسه بالتميز بما يؤدي إلى استعلائه على الآخرين.

٢- تشويه صورة الإسلام نتيجة لما يقع فيه من الأخطاء والمعاصي التي لم يستطع التخلص منها.

٣- الوقوع في الفهم الخاطئ لكثير من القضايا.

٤- الردة عن الالتزام والإحساس بصعوبة التكليف لأنه لم يهيأ لها التهيؤ الكافي.

ز- الدعوة إلى الأهم فالأهم:

ومن ثم تبرز هنا أهمية الدعوة إلى الأهم فالأهم على نحو ما بينا في الحديث عن منهج التزكية فيتم البدء بدعوة الشخص إلى أصل الدين وهو التوحيد الصحيح والعبادة الصحيحة، ثم يدعى بعد إلى ما يرقق قلبه، ويقوي إيمانه، ويزيد تقواه لله تعالى من القرآن والسنة وقصص الصالحين وأخبار اليوم الآخر، مع الدعوة إلى ما يهذب أخلاقه ويؤدبه بآداب الإسلام في التعامل مع الناس.

ح- مقياس الأهمية لنصوص الشريعة:

وليكن المقياس في ترتيب الأمور من حيث الأهمية هو نصوص الشريعة، فيعظم ما عظمه الله تعالى تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾^(٢).

(١) الحج: ٣٢.

(٢) الحج: ٣٠.

رابعاً: الدعوة بين الإجمال والتفصيل:

ففي العصر الحديث وفي الواقع المعاصر اليوم ظهرت العديد من القضايا والتحديات للإسلام وأهله، لعل من أخطرها قضية العولمة. يختلف أبعادها لاسيما البعد الفكري والثقافي بينما انحسرت كثير من القضايا التي كانت سائدة في العصور السابقة والتي شكلت ملامح الدعوة الإسلامية في عصور طويلة، وذلك مثل قضية خلق القرآن، ونفي الصفات، وإثبات العلو... إلخ.

وإن كنا لا ننكر أن معرفة الحق في مثل هذه القضايا واجب ولكننا نقول في الوقت نفسه: إن هذه القضايا لا يمكن أن توصف بأنها قضايا العصر أو أن تمثل موضوع الدعوة ومقاصدها في واقعنا المعاصر.

فلم يعد في كثير من ربوع المسلمين من يثير الشبهات في كثير من هذه القضايا، وإن وجد من يعتقد فيها خلاف معتقد أهل السنة فهو إما خامل في دعوته أو مستكن بها، أو يعتقدها عن جهل لعقيدة أهل الحق دون أن يتخذها قضية يعيش لها ويدافع لأجلها.

وعلى كل فقد ألم بالمسلمين من البدع والمحدثات والتحديات لهم في دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وآدابهم ما يكاد يعصف بهذا الدين لولا حفظ الله تعالى له.

فقد شاع في عرف الناس واعتقادهم أن التحاكم إلى القوانين الوضعية والأحكام العرفية في معاملاتهم وأمور دنياهم لا يخالف التوحيد ولا إفراد الله تعالى بالعبودية، ولا يتعارض مع إقامة النسك لله تعالى من الصلاة والصيام والزكاة والحج ونحو ذلك، مما يعد تأثراً مباشراً بالترعة العلمانية العالمية، كذلك شاع فيهم الانصياع والتبعية لغير الكتاب والسنة وأخذ تشريعاتهم وشئون حياتهم من الغرب أو الشرق دون الشعور بأدى غضاضة ولا نقص عليهم في دينهم، وذلك كله بتأثير حركة العولمة التي تم التخطيط لها من فترة كبيرة لإذابة المسلمين وإتباعهم للغرب أو للإمبراطورية الأمريكية على وجه الخصوص الآن، فضلاً عن يحاول النهش في جسد الأمة والنيل منها من قريب أو من بعيد من غير المارد الأمريكي.

لقد أصبحت كثير من القضايا تفرض نفسها فرضاً على الواقع المعاصر ولا يستطيع الداعي أن يغمض عينه عنها مثل:

١- قضية الحكم بغير ما أنزل الله، وما جرت به من الفتن والبلايا وانقسام الناس إزاءها فرق وأحزاب، ويشترك معها في الأهمية قضية دعاء غير الله تعالى واللجوء إليه ممثلاً في عبادة القبور والأولياء تحت ستار التصوف الذي يقوم عليه أحزاب كبيرة تجدد من النصر والتأييد من أعداء الإسلام من الداخل والخارج ما يحاولون به عرقلة النمو الواضح الهائل لفصائل الصحوة الإسلامية.

٢- قضية العولة والتبعية الغربية الأمريكية في جميع مظاهر الحياة، وعدم تمييز المسلمين في عقيدتهم وسلوكهم.

٣- قضية التبعية الاقتصادية للغرب وشيوع المعاملات الربوية العديدة المخالفة لشريعة الإسلام، وكيفية تعامل المسلم في معاملاته المختلفة مع شيوع الربا في كثير من المعاملات.

٤- قضية الانحلال الخلقي والإباحية التي تفشت في المجتمعات العربية والإسلامية، وأخذت مظاهر متعددة من سفور المرأة وتبرجها واختلاطها الاختلاط المشين، وامتهانها في العديد من المهن الرذيلة التي تتخذ منها المرأة سلعة رخيصة أو وسيلة لجذب الأنظار.

٥- قضية حقوق المرأة ومكانتها في الإسلام رداً على دعاة تحرير المرأة الذين يعملون على تمرد المرأة على دينها وقيمها الإسلامية، ونبذها لمقاييس الطهر والعفة والفضيلة، واتهام الإسلام بانتقاص المرأة حقوقها وإهانتها.

٦- محاربة سموم العصر الفتاكة التي تفتك بشباب المسلمين فتضعف عقولهم وتنهك قواهم وأجسادهم على مختلف أنواع تلك السموم من أصناف الخمور والمخدرات على اختلاف أنواعها.

٧- قضية التربية وانحسار دور الأب والمربي في البيت، وغيابه وذوبانه في دوامة الحياة الاقتصادية.

٨- افتقاد القدوة في المدرس والشيخ والعالم وأهل الحل والعقد، والتماس القدوة في

أنواع من الزعماء يختلفون بين القصد والتوسط والمغالاة والتطرف والانحلال والتسيب.

٩- فساد التعليم وفشل محاولات التطوير وجنوحها جهة الغرب باستيحائه وتقليده في خيره وشره.

١٠- الفساد الإداري العام والذي يؤثر بطبيعة الحال على جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها.

فهذه فقط بعض القضايا التي تطرح نفسها على الساحة اليوم، وينبغي أن تشكل جزءاً كبيراً من برنامج الدعوة وموضوعاتها، بالإضافة إلى قضاياها الأساسية الثابتة من الدعوة إلى عبادة الله تعالى وتوحيده وتزكية النفوس وإصلاحها، وبيان معالم الدين وأسسها، ودفع الشبهات عنه والانتصار لعقيدته وثوابته.

ومن ثم تنحسر في هذا الواقع بالضرورة كثير من القضايا التي أفرزتها عصور سابقة، والتي كانت تلبية لظروف هذا العصر.

ومن ثم إذا كنا بصدد الحديث عن تطوير الدعوة ينبغي أن نبحث الدعاة على الارتباط بقضايا العصر، ومحاولة الخروج من العصر الأموي والعباسي وغيرها من العصور السابقة، ليس على سبيل التمرد والتكرار لثرائنا بل على سبيل العمل على مواصلة المسيرة، وإكمال جهود السلف، وعدم الوقوف عند ما أملت عليه عصورهم وظروفهم فإن هذا لا يعني الوفاء للسلف، والعمل على تنمية دعوتهم بقدر ما يعني إماتة هذه الدعوة والعمل على تجميدها وعدم تنميتها.

لا يليق بالدعاة أن يقدموا مناهج الدعوة وموضوعاتها على ما هي عليه في صورتها القديمة بموضوعاتها وتفصيلاتها وأمثلتها المنبثقة من بيئتها.

فثمة داع يحدث الناس في قضية خلق القرآن، وداع يحدث الناس عن ربا الفضل وأنه لا يجوز بيع مطعوم بمطعوم مع زيادة، وأن العلة في ذلك هل هي الطعم أو كونه موزوناً أو مكياً أو كونه موزوناً مكياً ونحو ذلك.

أو يحدثهم عن جواز التعامل بالفلوس وهي كسر الدراهم المضروبة من النحاس أو البرونز وغيرها من المعادن الرديئة...

وهذا لا ينبغي كما سبق أن ذكرت، إن هذه كلها موضوعات صالحة للدراسة ويجب الإلمام بها ومعرفتها للدارسين، ولكن ليست هي من موضوعات الدعوة التي يجب فرضها على العامة وشغلهم بها، ما لم تنفش صورة منها في المجتمع أو يتلى بها.

للأسف الشديد لا يزال كثير من المشايخ يوجهون أنظار سائليهم عن كتاب في العقيدة إلى كتاب يعرض مسائل الخلاف بين أهل السنة والجمعية والمعتزلة والمرجئة والأشعرية وغير ذلك.

فيشغل هذا المدعو بكثير من القضايا التي لا يجدها في واقعه ولا يعرفها ولا يفهم كثيراً من أبعادها؛ لأنه لا يعاصرها ثم يظل منعزلاً بعد ذلك عن قضايا مجتمعه وتصوراته وما يناقشه من المسائل والمحدثات.

وهذا يرجع إلى أمر من أمور:

١- إما جهل هذا الشيخ بمصادر العقيدة ومصنفاتها في الواقع المعاصر، أو خلطه بين التوحيد الذي بعث الله تعالى به الرسل والعقيدة الحالية التي تمثل ردوداً متراكمة على المستدعة في مختلف الأزمنة والأمكنة، فلا بد من التفريق بين التوحيد الذي بعث به الرسل في ثبات حقيقته ومفهومه وتصوره وبين العقيدة التي تختلف باختلاف الزمان والمكان وما يجد فيهما من البدع والمحدثات.

٢- وإما إلى قلة تلك المصنفات الحديثة التي تعرض العقيدة عرضاً معاصراً ميسراً يركز على القضايا والمقاصد الأساسية الثابتة ويربطها بقضايا العصر ومسائله الملحة.

٣- وإما لشيوع حالة من الانعزالية والتأخر والانكباب على الماضي والعكوف على التراث دون النظر إلى الواقع واستشراف المستقبل.

إن هذا كله يدعوها إلى إعادة صياغة منظومة الإسلام في كافة علومه من عقيدة ومعاملات وآداب... إلخ.

فينبغي أن تصاغ هذه العلوم والموضوعات كلها صياغة عصرية جديدة تحافظ على الأصول والمقاصد الأساسية، وتعيد طرحها وتيسيرها بلغة العصر، وفي ضوء معطياته وتحدياته.

لابد أن تضمن تلك العلوم جميع قضايا العصر كل في بابه، فما يخص العقيدة في العقيدة، وما يخص المعاملات في المعاملات، وما يخص الآداب في الآداب وهكذا..
إننا للأسف الشديد وطيلة قرون عديدة نعيش في الغالب عالة على تراث أسلافنا نأخذ كما هو لا نزيد عليه شيئاً سوى الإيضاح والشرح والتحقيق والتقرير.
إن كل عصر وواقع لابد أن تكون له منظومة ثقافية خاصة به تعبر عن ظروفه وأحواله وهمومه وقضاياه دون تنكر للأصول الثابتة.

دعوة إلى تطوير حقيقي في مصادر المعرفة الإسلامية:

ومن ثم فإننا ندعو إلى تطوير حقيقي شامل لجميع مصادر المعرفة الإسلامية بما يناسب لغة العصر وظروفه وقضاياه ومعطياته وتحدياته، دون المساس بالأصول والمقاصد الأساسية، وهذا أمر ينبغي أن تنهض له همم الهيئات والمؤسسات الدعوية في جميع بلدان العالم؛ لأن هذا أمر لا طاقة للأفراد به، وإن تصور أن تكون ثمة جهود فردية في هذا المجال فإنه لا يتصور أن تتصف بالشمول والإحاطة والإتقان في منهج واحد متشاكل، لذا فلا بد من تنسيق الجهود، وتوزيع الأدوار، وتوحيد معالم منهج التطوير والتجديد من خلال مؤسسات دعوية ثقافية تقوم على إدارة مثل هذه المشروعات الضخمة...
ولاشك أنه قد ظهر في الواقع المعاصر شيء من هذا؛ حيث قامت بعض المؤسسات بإصدار بعض الموسوعات الشاملة ذات الجهد الواضح، غير أن الغالب على مثل هذه الأعمال هي الإغراق في التراث أكثر من الإغراق في الواقع، وغلبة صفة التراتية فيها على صفة المعاصرة، ومن ثم فالحاجة ملحة إلى أعمال موسوعية تجمع بين هاتين الصفتين التراتية والمعاصرة.

خامساً: الدعوة بين المقامية والانتقالية:

تنوع وسيلة التخطيط للدعوة بين الدعوة المقامية التي يلزم فيها الداعي حبه أو بلده، وبين الدعوة الانتقالية التي ينتقل الداعي فيها من مكان إلى مكان، وفي كل خير.
ففي الدعوة المقامية الدائمة المستمرة تتأصل المفاهيم وترسخ القيم، ويلاحظ الداعي المدعوين عن كثب وقرب، فيكون دائم التوجيه لهم، يصحح الأخطاء أولاً فأولاً، ويتابع المدعو في أطوار نشأته واستقامته حتى يستقيم عوده ويصلب ويقوى.

وفي الدعوة الانتقالية يتجدد النشاط والحماس، ويشعر الداعي أنه يتكلم لأول مرة فلا يَحْشَى ملل السامع ولا سَامَتَهُ، ويستقبل المدعو كلام الداعي فيطرب له لجذته وطرافته، وقدِيمًا قالوا: (زامر الحي لا يطرب)؛ فالناس يتأثرون بكل جديد طريف ويملّون كل مكرر مُعاد.

وبالانتقال والتحرك خارج الحي أو القرية أو خارج القطر يحثك المرء بأناس جدد، ويتعرف على أقوام لهم من المعارف والعادات والتقاليد والثقافات ما لم يعهده من قبل؛ فتزداد معرفته وخبرته بالناس والحياة، ويكون له من الصلات ما تتسع به دعوته ويكتب له بها النجاح.

أما ميادين الدعوة الانتقالية فتتنوع بين المساجد المختلفة، تلبية لدعوة إلى خطبة أو درس أو محاضرة ونحو ذلك، وكذلك الأندية فيما يقام فيها من الندوات والمحاضرات، ويمكن لكل مسلم واعٍ أن يتخذ من ناديه ومجتمعه مع أصدقائه ميدانًا لدعوته على أن يتلطف معهم في الحديث، ويحسن تخير المداخل المشوقة التي تجعل المدعوين هم الذين يسألون في أمور الدين ويستزيدون منها، ويعينه على ذلك أمور:

أ- صلاحه وحسن خلقه وسمته:

فذلك يجعل الناس يلجئون إليه في مهماتهم وفيما يعرض لهم من أمور دينهم، فلقد لجأ صاحب السجن إلى يوسف في تأويل رؤياهما لما بدا عليه من أمارات الصلاح فقال له: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

ب- ثقافته ولباقته وتقاربه الفكري والثقافي مع المدعوين:

وقد سبق أن أفضنا الحديث عن ذلك بما يغني عن إعادته هنا، والمسلم الداعي إلى الله تعالى يمكن أن يدعو إلى الله تعالى في كل مكان، في مكان عمله بين زملائه فيدعوهم إلى إقامة الصلاة، ويدعوهم إلى إتقان العمل وإصلاحه والإخلاص والاحتساب فيه، ويكون لهم قدوة في ذلك.

وفي مكان دراسته سواء كان مدرسة أو معهدًا أو جامعة بحسن التآلف بين زملائه والأخذ بأيديهم إلى سبيل النجاة، وحثهم على حلقات العلم، وتلاوة القرآن ومجانبة سبل

(١) يوسف: ٣٦.

الضالين والمفسدين... إلخ.

يقول الشيخ رضا صمدي في هذا الداعي الميداني: "إنه الداعية المتحرك في كل صوب، المتقن لدعوته في كل ثوب، إن كان في بيته فنعم العائل والمربي، فإن نزل الشارع وخالط الناس وسعهم بدعوته، فإن ركب وسيلة مواصلات تناثرت بركات دعوته على من حوله من الركب، إذا دخل مصلحة لم يخرج منها إلا بغنيمة دعوية؛ نصيحة يسار بها موظفًا، أو موعظة يسمعها لسافرة، أو كلمة معروف يذكر بها من يقف معه في الطابور، إنه المبارك في حله وترحاله؛ كالغيث أينما وقع نفع:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقلت إبقاها"^(١)

"إنه الداعية الميداني متحرك لدينه، سواء كان مدرسًا أو طالبًا، مهندسًا أو طبيبًا، عالمًا أو متعلمًا، سائقًا أو راكبًا، حالا أو مرتخلا، أميرًا أو مأمورًا، رئيسًا أو مرؤوسًا، زوجًا كان أو عزبًا، فقيرًا أو غنيًا، صحيحًا كان أو سقيمًا، مبصرًا كان أعمى، سليم الأعضاء أو معوقًا، في الشارع أو في البيت أو في الجامعة أو في المدرسة، أو في الدكان أو في الحافلة أو في الشارع أو في أي مصلحة حكومية، بلسانه ويده، بنفسه وماله، بكله يتحرك للدين وينافح عنه، لسان حاله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وشعاره: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]"^(٢).

(١) ٣٠ طريقة لخدمة الدين - (٢٩٧).

(٢) السابق - ٢٩٩.

خامساً: الوسائل الدعوية من حيث الشكل:

وتنقسم إلى قسمين:

أولاً: الوسائل العادية:

١-الجلسة أو المحادثة:

وهي عادة لا تأخذ الشكل الرسمي، وإنما تأتي في إطار الحديث العام، ويحاول الداعي من خلالها توصيل قضية ما بطريقة مبسطة، وتتسم بأنها تمكن المدعو من المناقشة والحوار، والاستفصال عن المشكلات.

ويحاول الداعي أن يدير دفعة الحوار بذكاء دون إشعار المدعو بأنه يوجه لطريق معينة، ولكن ينجح الداعي إذا شعر المدعو أنه وصل للنتيجة المراد الوصول إليها دون ضغط من أحد، ولكنها عن طريق قناعته الشخصية.

٢-الموعظة أو الكلمة:

وهي عادة ما تكون كلمة قصيرة من خلال آية أو حديث غالباً، ويركز فيها على التذكرة السريعة للحاضرين لإزاحة الغفلة وتحديد التوبة والإنابة وتذكر بالآخرة والرجوع إلى الله تعالى.

وينبغي أن تكون هذه الكلمة أو الموعظة مركزة مجتمعة الفكرة، مرتبة الكلام والمعاني، قوية التأثير بألفاظها ومعانيها وأمثلتها، يعتمد فيها المتكلم على وسائل التأثير الوجداني السابق بيانها أكثر من وسائل التأثير العقلي.

وهذه الموعظة لقصر مدتها تتراوح بين خمس دقائق وخمس عشرة دقيقة أكثر مناسبة لظروف العصر لانشغال الناس، وغلبة الحياة المادية عليهم بقساوتها وغلظها، فلا يكاد يصبر المستمع أكثر من دقائق معدودة حتى تستفزه أمور الدنيا وتستنهضه لتداركها، ومن ثم فهو ينصرف ابتداء عن سماع الدروس والمحاضرات ولكن قد يجلس لسماع موعظة عابرة إن علم أنها لا تزيد على دقائق معدودة يختلسها من زحام الحياة.

٣- الخطبة:

"هي وسيلة جيدة للتبليغ وتكون عادة لجمع من الناس قد لا يعرفهم الداعي أو يعرف بعضهم فقط، ويشترط للخطبة الناجحة أن يكون لدى الداعي معنى أو معان معينة يريد بياها ولفت الأنظار إليها، ومن المستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة في أحوال الناس مع ربط ذلك بمعاني العقيدة الإسلامية، كأن يكون الذين يخطب فيهم ممن تكثر فيهم العصبية القبلية، فيحدثهم عن أضرارها وحكم الإسلام فيها، وأن المؤمن لا ينصر قريه إلا بالحق، وأن على المسلم أن يرضى بما قضى به الإسلام من التأخي بالإسلام ونبذ العصبية الجاهلية. وعلى الداعي الخطيب أن يلاحظ في خطبته الأمور التالية:

١- الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتطبيقات العملية لها من قبل الرسول الكريم والرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، والصحابة الكرام، فإن ذكر التطبيق يجعل معنى الآية والحديث مشهوداً محسوساً.

٢- يستعين بالقصص الواردة في الكتاب والسنة ولا بأس من تصوير المعاني بشكل قصص وضرب الأمثال كما في الحديث الشريف: "أرأيتم لو أن في باب أحدكم نهرًا يغتسل فيه في اليوم خمس مرات أيقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: كذلك الصلاة".

٣- أن لا يطيل في الخطبة.

٤- أن لا يكثر الخطب مخافة السآمة.

٥- أن يكون كلام الداعي بسيطاً واضحاً لأن الذين يسمعونهم ليسوا في مستوى واحد من العلم والقدرة على فهم الخطاب. فإذا اختار الأسلوب البسيط الواضح والعبارات القصية انتفع بها الجميع وفهمها الجميع.

٦- من المفيد للخطيب أن يبدأ خطبته بما يذكر الناس برهم، ويبين لهم، وينذرهم.

٧- من المفيد للخطيب أن يبدأ خطبته بما جلب انتباه السامعين من حادثة صادفها أو قصة قرأها، أو خاطر انقذ في نفسه، فإذا جلب انتباه السامعين مضى الخطيب في كلامه مسترسلاً مشوقاً ومنذراً.

٨- على الداعي أن يتفرس في نفوس الحاضرين وأي مرض يغلب عليهم وأي شيء

يحتاجونه أكثر من غيره، فيبدأ به ويربطه بالعقيدة الإسلامية فإذا كانوا بحاجة إلى التخويف والترهيب لما يلمسه فيهم من الجراءة على المخالفات الشرعية ذكر لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وخوفهم من طول الأمر وأن الحزم يقضي بأخذ العدة قبل حلول الأجل، والعدة هي تقوى الله فإنها خير ما يتزود به المسافر إلى الله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(١)، وأن لذة المعصية وهي قصيرة تعقبها مرارة الندم والعذاب مدة طويلة. والعاقلة من صبر نفسه عن لذة حرام لا تدوم ليظفر بلذة حلال تدوم ولينجو من عذاب دائم مقيم. وإذا رأى في القوم الذين يخطب فيهم شعوراً بالأس والقنوط وصعوبة الرجوع إلى الله ذكرهم بعظيم رحمة الله وأن الله يقبل التائبين الصادقين وقال فيهم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(٢)، ويذكر لهم قصة القاتل مائة نفس وكيف أن الفقيه دله على طريق التوبة إلى الله والتحول إلى القرية الصالحة.

٩- على الداعي أن يحذر من ذكر الآيات والأحاديث التي قد يساء فهمها دون شرح وبيان لها مثل قوله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة". فعلى الخطيب أن يشرح الحديث حتى يفهمه السامعون الفهم الصحيح.

١٠- وعلى الداعي أن لا يسرع في كلامه ولا يرفع صوته بلا حاجة.

١١- يستحسن أن تكون الخطبة ارتجالاً لا في ورقة مكتوبة وأن تكون معانيها حاضرة في ذهنه، أي: أعدها من قبل"^(٣).

٤- المحاضرة:

"والغالب في المحاضرة أنها تعالج موضوعاً معيناً باستقصاء وإحاطة وذكر الأدلة والبراهين، وذكر ما قيل حول الموضوع، والصواب من هذه الأقوال، والمحاضرة الناجحة

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) أصول الدعوة: ص(٤٥٦-٤٥٨) باختصار.

ما كانت تهدف إلى هدف معين ومحدد وتحتفي هذا الهدف وتبينه البيان الشافي المقنع. ويجب على المحاضر أن يكون دقيقاً في كلامه لا يفتي القول جزافاً ولا يكثر من العبارات العاطفية، لأن مجالها الأصلي الخطبة وليس المحاضرة، وأن يشرك السامعين معه في الوصول إلى ما يريد به بأن يبين مقدمات النتيجة التي وصل إليها في بحثه فإذا ما استطاع إقناعهم بما كان ووضهم إلى النتيجة ميسوراً. وعلى المحاضر أن يقيم المقدمات لما يريد الوصول إليه على مسائل واضحة جلية مشهورة وأن يتجنب المسائل الدقيقة والمشتبهة والتي تقبل الأخذ والرد، أو التي هي في نفسها تحتاج إلى إثبات، ومن هذه المسائل ما تعرف على تسميته بالمعاني الفلسفية، فإذا أراد المحاضر أن يعرض بعض الحقائق الدينية وأصول العقيدة الإسلامية مثل البعث بعد الموت فيكفيه أن يلفت الأنظار إلى ما نشاهده من موت وبعث في عالم الحيوان والنبات وأن يضرب الأمثلة على ذلك لتقريب هذه الحقيقة إلى الأذهان. وهذا النهج ورد في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، فالحياة بعد الموت أثر مشاهد محسوس، أرض ميتة لا نبت فيها ولا حياة يتزل الله عليها المطر فتحيي ويخرج منها نبات حي بألوانه المختلفة وطعومه المتنوعة، أن الله الذي أحيا هذه الأرض هو الذي يحيي الموتى بعد أن خلقهم من ماء مهين من نطفة نعرف ونراها، فإن الإعادة كما هو معلوم أسهل من الابتداء قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(٢). هذا وعلى الداعي في محاضراته أن لا يكون جافاً بل عليه أن يضيف على محاضراته شيئاً من التحريك العاطفي السوجداني بما يذكره من حقائق الإسلام ومعاني العقيدة الإسلامية. وهذا التحريك

(١) فصلت: ٣٩.

(٢) يس: ٧٨-٨٩.

الوجداني يقوم على أساس إثارة ما في النفوس من معاني الإيمان^(١).

وفرق البعض بين الخطبة والمحاضرة بفروق ظاهرة مثل:

أ) يغلب على المحاضرة صبغة تقرير الحقائق، وتثبيت المعاني. أما الخطبة فيغلب عليها صبغة إثارة العواطف والمشاعر والوعظ.

ب) عناصر المحاضرة أشبه بالقواعد والأصول والأحكام.. أما عناصر الخطبة فأشبه بالخواطر العارضة والمعاني الطارئة.

ج) تحتاج عناصر المحاضرة إلى الشرح والاستشهاد... أما الخطبة، فشأنها الاسترسال مع ما يحضر من الخواطر والمعاني.

وأرى -شخصياً- أن تكون الخطبة مرتجلة: بل أرى أن تكون دروسك ومحاضراتك كلها مرتجلة... أما محاضر الورقة، وخطيب الورقة فلا شأن لنا به، إذ لا حاجة بالنهضات إليه.

نعم قد يحتاج المرء إلى تحضير كلامه في الورق، إذا كان المقام يقتضي تحديد معاني الألفاظ، وتبيين مرامي العبارات، كهؤلاء السياسيين المسؤولين، أو المفاوضين الذين يضطرون إلى تضمين العبارات وتحميل الألفاظ معاني وإشارات لا يستطيع الارتجال أن يفي بحقها... فلنسم أمثال هذه الكلمات "بيانات" فإذا كان لابد من تسميتها خطباً، فهي ليس من النوع المنهض الذي نريده.

ونعني بالارتجال، ارتجال الألفاظ فقط، لا ارتجال المعاني والعناصر، إذ لابد للخطيب الذي يحترم نفسه ويقدر واجبه، أن يعرف ما سيقول... لابد أن يعد لموقفه مادته من الأفكار والخواطر المناسبة، وأن يهيئها في نفسه، وأن يجيلها في ذهنه أكثر من مرة.

وهذا الارتجال المحضر هو ارتجال التركيز، والبناء، والثبوت والدوام... فإذا وقف الداعية ليتكلم وقف وهو رابط الجأش، ثابت النظرات، مالك لزمam نفسه وزمام موضوعه، مستنداً إلى ما أعد من ذخيرة، فإذا فتح له في موقفه عن جديد من الخواطر

(١) السابق: ص(٤٥٩-٤٦٠).

والمعاني، فيها ونعمت، وإلا فحسبه أنه ينفق مما لديه.

وهناك ارتجال غير محضر، وهو في الغالب، يعبر عن صدى الحوادث في نفسه؛ أو هو استجابة لحادث، أو رؤية، أو سماع أثار مشاعره، فلا يزال يرتحل، ويسترسل مع الدواعي الطارئة والخوافر العارضة، حتى تنحل عقده النفسية، ويشعر أن قد هدأت ثوابته، فينتهي عند ذلك ارتجاله.

وهذا النوع لإثارة السامعين إثارة وقتية، أو توجيههم إلى وجهة أو عمل مطلوب لساعته.. أما أنه للتركيز، والإنشاء والثبوت فلا.

وهذا الارتجال الذي يقوم على حركة الوجدان، لا يؤدي مهمة إلا إذا كان صاحبه يتمتع بموهبة أصيلة، وتجارب سابقة، درسها وفكر فيها، فيرتكز عليها كأنها نقط محضرة، وبدون هذا يكون الكلام غالباً غير مرتب، وقد يمل لنفاسته وكثرة اضطرابه.

٥-الدرس:

قد لا يفرق كثيراً بين الدرس والمحاضرة، ولكن من المصنفين في مناهج الدعوة من فرق بينهما فيرى البهي الخولي^(١): "أنه جرى عرف الوعاظ والدعاة -غالباً- على أن يكون موضوع الدرس آية من كتاب الله -عز وجل، أو حديثاً من سنة رسول الله ﷺ.

وفي رأيي أن الدرس أشق من المحاضرة، أو بعبارة أحكم، الدرس أحوج إلى دقة الداعية وحساسيته من المحاضرة.. فالمحاضر يختصر همه في إقناع الجمهور بموضوع معين، ولا يعنيه من الآية أو الحديث إلا وجه واحد من جوه الدلالة، هو الوجه الذي يتصل بغرضه... أما المدرس، فالآية تفرض عليه الدقة وطول التأمل، والوقوف عند كل كلمة، بل عند بعض الحروف أحياناً، وفي كل وقفة من هذه إشارات ومعارف وعلوم إلهية تلتهم أنوارها في صدر الباحث، فإذا به ينشرح ويتسع، ويفرح بفضل الله.

ومن هنا أحب أن أنه إلى أن الدرس يجب أن يكون أحفل بالرقائق، التي تحرك القلب،

(١) انظر: البهي الخولي: "تذكرة الدعاة"، دار البشير ط ١ ص(٣١٧).

وتخاطب الوجدان.. فإذا أفسحت لك الآية بين كلماتها، وشفّت لك عما وراء سطورها. فاستخرج ما تشاء من المعاني، ثم رتبه واربط بين بعضه وبعض، ثم وسع دائرة الحديث بما يتصل بالمعنى من آيات الكتاب وسنة رسول الله وصحابته، وأخبار الناس قديماً وحديثاً، وصل ذلك - ما أمكن - بمجوادث الحياة وواقعها العلمي.

ودرس الحديث كدرس الآية في كل ما ذكر، وعندى أن الدرس أكثر فائدة من المحاضرة... فالدرس ميسور لك في كل وقت فما عليك إلا أن تجلس في ناديك أو مسجدك لتلقي درسك على من يحضر من خلق الله، وهذا لا يكون في المحاضرة. ذلك إلى أن قلة عدد من يحضر الدرس - عادة - تمكن الدرس، من التأثير برقائقه في قلوب مستمعيه، ومن إنشاء صلوات روحية، تعارفية عملية، بينه وبينهم، فيكونون معه غالباً على ما يريد... أما جمهور المحاضر فقد جاء غالباً "ليسمع"... ويقضي وقتاً ما.. فإذا استولى المحاضر على ألباهم وإعجابهم، كان أثره "وقتياً" لدى الأكثرين وما أقل من يقع في يدك من مستعمي المحاضرة، ليكون جندياً من جنود فكرتك^(١).

٦- الندوة:

الندوة أعم من المحاضرة، حيث يكون في الندوة أكثر من محاضر، وبذلك يكون هناك ثراء في الموضوع؛ حيث يلمس كل واحد منهم الموضوع من زاوية معينة، فتتكمّل الرؤية بكثرة الطرح والمعالجة، هذا إلى جانب اتساع نطاق المناقشة والحوار بين جاب الحضور، ولا يخفى أهمية التركيز على طرح الموضوعات الحية التي تشغل بال الناس، وخصوصاً الشباب الذين يحتاجون من الدعاة بذل المجهود، حتى لا تنحرف مفاهيمهم.

٧- المؤتمر:

تكون المؤتمرات تحت رعاية الدول، وتكون الموضوعات المطروحة فيها على درجة عالية من الأهمية، وتتسم المؤتمرات كذلك بأنها تستمر أكثر من يوم، مع وجود وفرة في الحضور، كذلك تكون فعاليات المؤتمر على درجة عالية من النشاط؛ حيث تكثر ورش

(١) تذكّرة الدعاة: (٣١٧-٣١٨).

العمل التي تعالج فيها كثير من القضايا المطروحة للنقاش، وتكون المؤتمرات على مستوى الصفوة من العلماء والدعاة الذين يتلاقون تحت مظلة المؤتمر فيحصل التلاقح الفكري، والنشر في القضايا المختلفة، ومحاولة رَأب الصدع وتوحيد العمل الدعوي.

وفي استمرارية المؤتمرات أهمية عظيمة؛ حيث يخرج كل مؤتمر بتوصيات، وهذه التوصيات يجب أن تكون محل التنفيذ، فإذا لم تتم الاستمرارية فقد تضع هذه التوصيات، وفي الاستمرارية يكون التواصل بين العلماء كما ذكرنا سابقاً.

وإذا كنا بصدد الحديث عن التطوير، فينبغي أن ترتبط هذه الأنواع (الخطبة - المحاضرة - الدرس .. إلخ) بواقع المجتمع وقضايا المعاصرة، بالإضافة إلى القضايا الأساسية كقضية الإيمان والتوحيد والإسلام وتركية النفوس والعبادة والمعاملات والأخلاق والآداب.

ينبغي أن تلم الخطبة بقضايا الأمة وواقعها، وتقدم للناس في ذلك الرأي السديد من الوجهة الحكيمة التي تنطلق من واقع الغيرة على الدين، والنظر في العواقب وتقدير المصالح والمفاسد.

كذلك ينبغي أن تركز موضوعات المحاضرات حول قضايا الأمة وواقعها والتحديات التي تواجهها في الداخل والخارج.

كذلك ينبغي أن يشير الدرس من قريب أو من بعيد إلى ما يتعلق بواقع الناس، بحيث تضرب الأمثلة من الواقع الملموس لا من الماضي المفقود، أو من الخيال المحلق في الفضاء، أو من المثالية الأفلاطونية البعيدة عن أرض الواقع.

ثانياً: الوسائل الأدبية:

ونعني بها تلك الوسائل التي تعتمد على وسائل التأثير البياني والأدبي المعروفة لدى دارس الأدب والبيان، وسوف نقف عندها وقفة متأنية عند الحديث عن الوسائل الأسلوبية من حيث التأثير البياني.

والمقصود من الحديث هنا هو لفت الأنظار إلى أهمية هذه الأشكال، وضرورة النظر في مناسبة إحداها لموقف دعوي معين وإمكانية تطوير هذه الوسائل.

فبالنسبة لاختيار إحدى هذه الوسائل ينبغي الموازنة بين طبيعة الموضوع والمناسبة وحجم المعالجة وبين الشكل الأدبي المختار، فقد يريد الأديب مجرد لفت أنظار الأمة لأمر ما ويثير حميتها تجاهه فهنا تأتي القصيدة الشعرية على سبيل المثال، وقد توسع المعالجة أكثر من ذلك بحيث يحتاج إلى تفصيل فكرته وإيضاحها والدخول إلى وسائل الإقناع العقلي، فهنا تتعين المقالة سواء كانت بالأسلوب الأدبي التحليلي أو الأسلوب العلمي البحت أو العلمي المتأدب كما يسميه البعض، وقد يريد الأديب أن يعالج القضية بطريقة أدبية رمزية مع إيجاز العرض وسرعته بغية سرعة وصول الرسالة للقارئ وسهولة انتشارها فتتعين لذلك القصة القصيرة، وقد يريد الأديب التعبير بطريقة رمزية يغمر فيها الرمز والمغزى ضمن حبكة فنية ونسيج في يطول من خلال الشخصيات والحوار والزمان والمكان وتطور الحدث وبناءه؛ بحيث يخفي مقصده بعض الشيء ولا يفتن له إلا الأريب، وبحيث يصعب محاسبته عليه، أو بحيث يأخذ القارئ بعيداً عن رتبة السرد التقريرية المباشر فهنا تتعين الرواية أو القصة الطويلة.

تطوير هذه الأشكال والإفادة منها في الدعوة:

والحق أن الحديث عن تطوير هذه الأشكال مرهون بتطورها الطبيعي في عالم الأدب، فعلى الداعي الذي يستخدم أداة من هذه الأدوات أن يراقب حركة تطورها في الواقع الفني، بحيث لا يعبر بطريقة متخلفة عن واقعه تجعل الناس ينصرفون عن تذوق أدبه، أو يختار له مدرسة أدبية لا يزال لها روادها وقراؤها ومعجوها ويتبعها في كتابته وأسلوبه الأدبي، ما لم تكن هذه المدرسة ذات تأثير فكري معارض ومعاوند لحقائق الدين وعقائده الثابتة مثل المدارس الحديثة الراهنة.

وإن كان لا مانع أن يفيد الأديب من جميع الاتجاهات مع تميزه بأفكاره ومضامينه الدينية الدعوية الملتزمة، خاصة إذا كان ثمة اتجاه حديث له أنصار وأتباع كثيرون أو يراد التأثير فيهم بأدب إسلامي صادق.

هذا كله مع الالتزام بالمبادئ الإسلامية التي سبق إيضاحها وبيانها في الحديث عن المبادئ الإسلامية الأدبية في ضوء الكتاب الكريم والسنة النبوية.

سادساً- الوسائل الأسلوبية:

وتنقسم هذه الوسائل من حيث نوعية التأثير على المتلقي إلى:

١-وسائل التأثير العقلي.

٢-وسائل التأثير الوجداني.

٣، ٤-وسائل التأثير البياني.

وقد سبق الحديث عن هذه الوسائل^(١) من قبل، ونحتاج أن نركز هنا على كيفية تطوير تلك الوسائل بحيث تكون أكثر مناسبة لمعطيات هذا العصر وتحدياته.

وإذا كنا قد أفضنا شيئاً ما في بيان وسائل التأثير العقلي على العموم وهي:

أ-مخاطبة العقل بالتفكير المنطقي السليم.

ب-استخدام البديهيات العقلية المسلمة.

ج-التسلح بثقافة العصر لإحداث نوع من التقارب الفكري بين الداعي والمدعويين.

وينبغي أن نعلم هنا أولاً أن لكل عصر طبيعته في التفكير، فعلى سبيل المثال حاول المعتزلة في العصر العباسي فرض الأساليب المنطقية اليونانية في التفكير وصنع العقل العربي بصبغة الفلسفة اليونانية والطريقة الكلامية.

وللأسف الشديد ظل هذا المنهج في التفكير هو السائد والمسيطر على العقلية العربية المفكرة والمبدعة في كثير من العلوم؛ كعلم المنطق، وعلم الكلام والجدل، وعلم النحو العربي، وعلوم البلاغة والنقد الأدبي، وعلم أصول الفقه والفقه، والعقيدة الأشعرية وغيرها من العلوم العربية والإسلامية إلى فترة قريبة، ولا زالت تلك الكتب التي صنفت على هذا النهج تدرس إلى الآن في كثير من مدارسنا ومعاهدنا لاسيما في الأزهر الشريف في مصر؛ حيث كان للأزهر أثر كبير في الحفاظ على تلك المناهج باعتبارها تراثاً لا يجوز تعديله أو تغييره أو تخطيه بشكل من الأشكال.

(١)انظر الفصل الخاص بمعالم المنهج الدعوي في ضوء الكتاب الكريم والسنة النبوية.

ويعجب المرء حينما ينظر في المناهج التعليمية الأزهرية فيجد أن الكتب المقررة على الطلاب في المدارس الثانوية الأزهرية والإعدادية -أيضاً إلى عهد قريب- هي هي الكتب نفسها، التي كانت سائدة في القرنين السابع والثامن الهجري وما قبلهما أو ما بعدهما قليلاً، سواء في العقيدة أو الفقه أو التفسير والحديث واللغة والنحو والبلاغة... إلخ.

وهذا يدل إلى أي مدى سيطر هذا المنهج والطريقة المنطقية اليونانية على طريقة التفكير لدى العرب والمسلمين إلى بدايات العصر الحديث، ولا يزال تأثير ذلك إلى اليوم. والذي يعني من ذلك كله أنه كانت هناك فترة تغلب فيها الطريقة المنطقية بما تتسم به من تقرير المقدمات والنتائج واستخدام الأقيسة المنطقية الأرسطية فيما لا حاجة إليه من بديهيات العقول، مع جفاف الأسلوب وتعقيد، وغياب الروح الأدبية، والمغالاة في التعقيد والتنظير.

أقول: إذا كان هذا هو الأسلوب الذي كان سائداً في كثير من عصور الجُمُود والتقليد والتأخر والتخلف لدى المسلمين، فينبغي ألا تكون هناك عودة لمثل هذا الأسلوب في الخطاب الدعوي اليوم.

بل ينبغي على الدعاة أن يعرفوا طبيعة هذا العصر، وطبيعة المنهج الغالب عليه في التفكير مع مراعاة خصوصية كل بيئة، فإذا استثنينا البيئات الخاصة كالقرى مثلاً، فإن طريقة التفكير السائدة هي الطريقة العلمية المتأثرة بالمنهج العلمي التحريبي في العصر الحديث، والتي تعلي من شأن المادة وتركز على الظواهر والوقائع دون الغيبات.

ليس معنى ذلك أن يتم إلغاء الحديث عن الغيبات مثلاً فهذا أصل من الأصول ملتصقة بحقيقة هذا الدين، ولكن المقصود هو الإفادة من هذا المنهج العلمي التحريبي والإفادة من حقائقه في إثبات حقائق التوحيد، ودلائل القدرة والحكمة والعلم الإلهي في الكون^(١).

(١) انظر على سبيل المثال طريقة الشيخ عبدالمجيد الزنداني في توظيفه الحقائق العلمية للتدليل على الغيبات وخاصة الصفات الإلهية.

إن الداعي المعاصر ينبغي أن يتسلح بقدر كاف من معرفة علوم العصر، ولا بد أن يعمل على اكتساب العقلية العلمية لا لتحكيمها في حقائق الإيمان وغيبياته بل لكي يقنع بها المدعو ويدلل له على أن حقائق الدين لا تتنافى ولا تتعارض مع الحقائق العلمية الكونية، بل إن الحقائق العلمية الكونية هي من أعظم الأدلة على إثبات تلك الحقائق.

وقد أرشدنا القرآن العظيم إلى ذلك في مواضع عديدة فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ﴾^(٣)... إلخ الآيات الكثيرة الواردة في الدعوة إلى التأمل في صفحة الكون والغوص فيه لمعرفة أسرارهِ ودقائقهِ للتوصل بذلك إلى ذلك التوافق العجيب بين دلالة تلك الآيات الكونية مع الآيات السمعية التي جاء بها النبي ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ومن ثم يمكن أن نوجز سمات التفكير السائد الآن والذي يجب على العلماء أن يقتربوا منه في حديثهم مع الناس لاسيما الطبقة المثقفة منهم:

١- غلبة العقلية العلمية التجريبية.

٢- التماس الأدلة في الواقع.

٣- اعتماد الطريقة الرياضية في التفكير (١+١)=٢، والنفور من طريقة الفلاسفة القائمة على الظن والتخمين والافتراضات العقلية.

٤- الميل إلى السرعة والإيجاز.

ومع هذا نقول إن هذا لا يعني أننا نطالب الدعاة لكي يكونوا عصريين بالجنوح نحو المادية البحتة في التفكير وإلغاء الجانب الوجداني والبياني، ولكننا ندعو إلى الاهتمام أكثر

(١) الذاريات: ٢١.

(٢) فصلت: ٥٣.

(٣) يونس: ١٠١.

بجانب التفكير العقلاني العلمي الرياضي والبعد عن الطريقة المنطقية اليونانية القديمة أو الحجج الكلامية وغيرها من سخافات العقول كما يبدو لكثير من الناس في الوقت الراهن، مع التأكيد على أن التأثير الوجداني في فطرة مستقرة في النفوس لا تزول ما دامت الأنفاس في الأجساد، ولذلك ينبغي ألا يهملها الدعاة.

غير أننا نقرر كذلك أن من الناس من هم أميل إلى الطريقة العقلية العلمية، ومنهم من هم أميل إلى الخطاب القلي الوجداني، ومنهم من هو أكثر انفعالاً للخطاب الأدبي البياني.

ولذلك ينبغي على الداعي أن يتقن هذه الوسائل جميعاً ويعلم متى يركز في خطابه على واحد منها بحسب حالة المدعو وعقليته وثقافته وطريقة تفكيره وحالته النفسية وغير ذلك.

ونذكر هنا بأهم وسائل التأثير الوجداني والبياني التي سبق الحديث عنها فنقول:

وسائل التأثير الوجداني:

أ-إيقاظ الضمائر بإرجاعها إلى الله تعالى وتذكيرها بالرجوع إليه.

ب-استخدام وسائل الترغيب ببيان الثواب العاجل والآجل.

ج-استخدام وسائل التهيب ببيان العقاب العاجل والآجل.

د-دراسة نفسية المدعو ومعرفة أقرب المداخل إليها.

-وسائل التأثير البياني:

أ-اختيار الشكل الأدبي المناسب للمقام.

ب-اختيار المعجم اللغوي المناسب لثقافة المخاطب.

ج-الموازنة بين الأساليب اللغوية وحال المخاطبين.

د-حسن التصوير باستحياء الصور من بيئة المدعو.

ونحب أن نزيد هنا الأمر إيضاحاً فيما يتعلق بمسألة التطوير من المهم جداً ونحن نتحدث عن التأثير الوجداني أن نؤكد على ضرورة مشاركة الداعي للأمة في أحزانها وأفراحها فلا يليق به أن تمر بالأمة نكبة عامة أو تترل بها مصيبة شديدة -(الذي يجري في

العراق وفلسطين على سبيل المثال ويكون في بعض الأيام أشد من بعضها الآخر) - ثم نجد هذا الداعي أو الخطيب ضارباً في جذور الماضي السحيق معتزلاً واقعه وكأنه لا يعيش فيه يحدث الناس عن أمور يصلح أن يتحدث فيها كل يوم، ويترك ما يحسن الحديث فيه اليوم.

ولا نريد أن يفهم أن المقصود من كلامنا هذا إلهاب الحماسة وإشعالها دون جدوى أو أن يضرب الداعي دائماً على أوتار الأحزان والأسقام، أو أن يركب الموجة كما يقولون بل المقصود أن يكون الداعي واعياً حصيفاً ذكياً لماحا يستثمر الحدث لصالح دعوته، ويخفف عن الأمة آلامها فيخرجهم من ضيق العسر إلى أمل اليسر في فرج قريب، ويخرجهم من آلام الأحزان إلى همة الإحسان، فعلى سبيل المثال إن حدث زلزال ببلد الداعي مثلاً عليه أن يعظ الناس ويذكرهم بأن هذا إنذار من الله تعالى وتحذير للعصاة فعليهم أن يسارعوا بالتوبة وينبؤوا قبل فوات الأوان، وأنهم إذا ما تابوا وأنابوا كشف الله تعالى عن الأمة ما هم فيه من الغمة.

ثم يبين أن من هلكوا شهداء قد طهرهم الله تعالى وقبلهم في علين.
وأن من أصيبوا يريد الله أن يحصهم وأن يكفر سيئاتهم ويتوب عليهم.
ثم يعلق قلوبهم بيسر وفرج قريب ويذكرهم بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (١) .

وإذا كان في الأمة احتفال بيوم نصر ونحوه ذكرهم بأن هذا النصر كان بحسن التوكل على الله تعالى واللجوء إليه وإن هذا النصر يحتاج إلى الشكر، وأن الله تعالى يعد على الشكر بالمزيد فيقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وهكذا يكون الداعي مع الأمة في أفراحها وأحزانها فيجد لدعوته آذاناً صاغية، وقلوباً مقبلة.

وأما بالنسبة لوسائل التأثير البياني: فيجب التأكيد ونحن بصدد الحديث عن التطوير على التنبيه لأمر هام وهو تطور اللغة، فاللغة في تطور دائم، فلو تصورنا شخصاً بعث فينا

(١) الشرح: ٥-٦.

من مائة عام لصعب أو استحال تواصله معنا، ولأغلق عليه وعلينا كثيراً من المعاني مع وحدة اللغة بيننا وبينه.

وذلك لما يجد في الواقع من محدثات ومخترعات وأحداث وتغير وتطور في مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية... إلخ.

لذا ينبغي على الداعي ألا يتحدث مع الناس بلغة العصر الجاهلي مثلاً فلو أن واحداً من عامة الناس سمع أبياتاً لامرئ القيس ولنفترض أنها مطلع معلقته الشهيرة:

بسقط اللوى بين الدخول فحومل قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل
لما نسجتها من جنوب وشمأل فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
وقيعانها كأنه حب فُلْفُل ترى بعمر الآرام في عرصاتها
يقولون لا تهلك أسى وتحمّل وقوفا بها صبحى على مطيهم
أقول لو أن أحد العامة سمع هذه الأبيات لكاد ينكر أنها من العربية، ولما استطاع أن يفهم كثيراً من معانيها، وإن فهم شيئاً فلن يتعدى فهمه ظاهر اللفظ دون باطن المعنى. وذلك لأمر كثيرة غير صعوبة ألفاظها ترجع إلى بعد العهد واختلاف الظروف والأحوال.

فالبينة العربية قد تنوسيت معالمها القديمة وأين ما يذكر من تلك الأماكن (سقط اللوى - الدخول - حومل - توضح - المقراة).

وأين عادة الوقوف على الديار، والبكاء على الأطلال لفراق الأحبة وما سبب ذلك؟ ولماذا يرحل الأحبة ولماذا يظعنون، وينتقلون من مكان لآخر؟

وما تلك العادة العربية الجاهلية في استيقاف الصحب، وهل كان مع الشاعر صاحبان يناديهما؟

وأين معالم هذه البيئة وما ذكر فيها من الآرام والعرصات والقيعان وحب الفلفل والمطي وغير ذلك؟

هذه كلها أسئلة تقف أمام القارئ حائلاً دون فهم تمام المعنى إن هو عرف ظواهر الألفاظ ومعانيها المعجمية الدالة عليها.

لذا نؤكد على ضرورة أن يستخدم الداعي الخطيب أو المحاضر.. إلخ لغة الواقع المعاصر بشرط سلامتها من اللحن والخطأ حفاظاً على لغة القرآن، فالجنوح نحو السهولة والتيسير لا يعني الخطأ واللحن والتخفف من القواعد لأن هذا يؤدي إلى إفساد اللغة، ويكفيها ما أصابها من الفساد في واقعنا المعاصر.

ولذا نحتاج إلى لغة وسط فصيحة ولكنها ليست بعيدة عن البيئة والعصر الذي تستعمل فيه، وذلك حتى لا نفقد التواصل مع الناس.

المراجع^(*)

- ابن حجر القطري: الشيخ محمد بن عبد الوهاب - دار الاعتصام - القاهرة.
- ابن كثير: البداية والنهاية.
- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.
- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي: الاعتصام - ضبطه وصححه: أحمد عبدالشافي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- أبو الحسن السندوي: ماذا خسر العالم بأخطا المسلمين - مطابع علي بن علي - الدوحة - الطبعة العاشرة - ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: الاستقامة - تحقيق: د. محمد رشاد سالم - مكتبة السنة - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٤٠٩هـ.
- أبو محمد عبد الملك بن هشام: سيرة النبي ﷺ - النور الإسلامية - عين شمس.
- أحمد بن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - تحقيق: د. عبد الحميد هندawi - المكتبة العصرية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- م.
- أحمد بن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام - جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، وابنه محمد - دار الرحمة للنشر والتوزيع - بالقاهرة.
- أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري - رقم كتبه: محمد عبد الباقي - دار الريان - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الخامسة عشرة - ١٩٩٩م.
- أكرم ضياء العمري: التراث والمعاصرة - رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية - قطر.

(*) قد ينقل البحث عن مؤلفين لهم انتماءاتهم الدعوية الخاصة فنبه إلى أن الباحث غير مسئول عن شيء مما عليه هؤلاء المؤلفون أكثر مما يعنيه النص المنقول، فالموافقة في شيء لا تعني الموافقة بكل شيء.

-أكرم ضياء العمري: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام (في ضوء الكتاب والسنة)- مركز بحوث السنة والسيرة.

-الألباني: الفتاوى الإماراتية.

-أنور الجندي: الإسلام والمصطلحات المعاصرة- دار الهداية- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٩٩٧م.

-أيمن أبو شادي: نظرة علمية في أهل التبليغ والدعوة- أجياد، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٨م.

-بكر بن عبدالله أبو زيد: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية- دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية.

-بهاء شاهين: شبكة الإنترنت.

-البهي الخولي: تذكرة الدعاة- دار البشير- الطبعة الأولى.

-توفيق يوسف الواعي: النساء الداعيات- دار الوفاء للطباعة والنشر.

-تيسير محجوب الفتياي: مقومات رجل الإعلام الإسلامي- دار عمار للنشر والتوزيع.

-جلال العالم: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله- مكتبة التابعين- القاهرة.

-الجويني- مختصر غياث الأمم- تحقيق د. مصطفى حلمي، د. فؤاد عبد المنعم.

-حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين.

-حسن البنا: مجموعة رسائل الإمام الشهيد- دار التوزيع والنشر الإسلامية- القاهرة- ١٤١٢ هـ-١٩٩٢م.

-حسن عيسى عبدالظاهر: فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية- دار القلم- الكويت.

-حسين جابر: الطريق إلى جماعة المسلمين، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٨م.

-حفصة أحمد حسن: أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة- مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى.

- محمد حسن رقيط: فقه التعامل مع الناس - دار ابن حزم.
- خالد بن عبدالرحمن: وجوب الدعوة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ومنهاج جماعة التبليغ في ذلك، دار ثابت.
- الخليل بن أحمد: العين - تحقيق: د/ عبدالحميد هنداي - دار الكتب العلمية - بيروت.
- خليل صابات: الصحافة.
- خولة درويش: مجالات المرأة الدعوية - دار المحمدي.
- رءوف شليبي: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي (مناهجها وغاياتها) - دار القلم - الكويت.
- رضا بن أحمد صمدي: ٣٠ طريقة لخدمة الدين - دار الوطن - مصر - الطبعة الأولى.
- وطبعة أخرى: دار المؤيد - الرياض، ودار الفهد بجدة - ٢٠٠١ م.
- رفاعي سرور: بيت الدعوة دراسة اجتماعية من واقع التحرك الإسلامي - مكتبة الحرمين - طبعة رابعة.
- رفاعي سرور: حكمة الدعوة - مكتبة الحرمين - طبعة ثالثة.
- سعد الدين السيد صالح: الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة وجذورها التاريخية، دار أحد، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- سعيد عبدالعزيز: هيا بنا نؤمن ساعة - دار الإيمان - الإسكندرية.
- سفر بن عبدالرحمن الحوالي: العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة - مطابع أم القرى - الطبعة الأولى - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- سليم الهلالي: الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، دار البصرة، الإسكندرية.
- السيد سابق: فقه السنة - الفتح للإعلام العربي - القاهرة - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- شرف الدين الحسين بن عبدالله بن محمد الطيبي: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن - تحقيق: د. عبدالحميد هنداي - مكتبة نزار الباز - مكة المكرمة - الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

- شريف اللبان: تكنولوجيا الاتصال.
- الشوكاني: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد.
- صالح العبود: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي - رسالة دكتوراه.
- صفى الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- صلاح الصاوي: الوجيز في فقه الإمامة العظمى.
- صلاح الصاوي: مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي - الآفاق الدولية للإعلام.
- صلاح صاوي: جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها.
- عبد الحميد الغزالي: حول أساسيات المشروع الإسلامي لنهضة الأمة - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- عبد الحميد هنداي: المختصر الصحيح لتفسير القرآن العظيم (لابن كثير) - دار الهدى - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٠م.
- عبد الحميد هنداي: دراسات حول الجماعة والجماعات - مكتبة التابعين - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- عبد الرحمن البدّ: مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم (أو التحمل والأداء) - دار اليقين للنشر والتوزيع.
- عبد الرزاق الصنعاني: المصنف - المكتب الإسلامي بيروت - الطبعة الثانية.
- عبدالعزيز بن باز من محاضرة له بعنوان: "محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته"، الدار السعودية للنشر.
- عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة - دار الوفاء - المنصورة - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- عبد الكريم عثمان: معالم الثقافة الإسلامية - مؤسسة الرسالة.
- عبد المجيد الزنداني - البيان بين أصل الصعود وخطر التفكك - مجلة إسلامية - مكاتب المنتدى الإسلامي.

-عبدالوهاب عبدالعاطي عبدالله: مناهج أولى العزم من الرسل في تبليغ الدعوة على ضوء ما جاء في القرآن الكريم- دار الطباعة المحمدية بالأزهر- ط١- ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
-عصام مرعي: القول البليغ في نصح جماعة التبليغ- دار أهل السنة- توزيع المكتبة الإسلامية.

-علاء بكر: مذاهب فكرية في الميزان- دار العقيدة- الإسكندرية.
-علي الحمادي: لا تكن كصاحب الجُباعة (خمس وعشرون قاعدة في فنون التعامل مع الآخرين)- دار ابن حزم.
-علي بن إبراهيم النملة: تأملات في طريق الدعوة (جولات في الزمان والمكان والتحديات)- مكتبة العبيكان.

-علي بن عمر بن أحمد بادحدح: مقومات الداعية الناجح- دار الأندلس الخضراء- جدة.

-علي جريشة: الاتجاهات الفكرية المعاصرة- دار الوفاء- المنصورة- الطبعة الثالثة- ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

-عمر عبدالعزيز قريشي: شبهات التفكير- مكتبة التربية الإسلامية- القاهرة- ط١- ١٤١١هـ.

-عوض بن محمد القرني: حتى لا تكون كلاً... طريقك إلى التفوق والنجاح- دار الأندلس الخضراء.

-فاروق حسين: الإنترنت.

-فتحي يكن، رامز طنبور: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي- مؤسسة الرسالة.
-فوزية العشماوي: الحوار بين الحضارات والخصوصيات الثقافية، جريدة الأهرام، العدد (٤١٩٣٦)، ١٣ رجب ١٤٢٢ هـ، سبتمبر ٢٠٠١.

-مانع الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.
-مجدي عبدالمجيد الصافوري: سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

- محمد إسماعيل المقدم: عودة الحجاب - دار العقيدة - الإسكندرية - الطبعة الرابعة.
- محمد الخضر حسين: وسائل الإصلاح - دار الإصلاح - السعودية - الدمام.
- محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف: عجز الثقات - دار الأندلس الخضراء.
- محمد بن صالح العثيمين: رسالة إلى الدعاة.
- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: البحر المحيط - دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد والشيخ علي محمد وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- محمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النبوي، دار النفائس، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- محمد بيومي: أهل السنة والجماعة بين التجمع الحزبي والعمل الجماعي - دار الإيمان.
- محمد خليفة التونسي (ترجمة): الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون - مكتبة دار التراث - القاهرة.
- محمد سيد أحمد المسير: الحوار بين الجماعات الإسلامية - دار الطباعة المحمدية.
- محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري - دار الأنصار - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
- محمد عبدالقادر أحمد: هموم إسلامية في نظام عالمي جديد - مكتبة النهضة المصرية.
- محمد قطب: المسلمون والعولمة - دار الشروق.
- محمد قطب: مناهج التربية الإسلامية - دار الشروق.
- محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة - دار الشروق - القاهرة - الطبعة الثامنة - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الخامسة - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- محمد يوسف الكاندهلوي: حياة الصحابة - دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- محمود عبد الرؤوف: مقدمة في علم الإعلام والاتصال بالناس.

- محمود عبدالحكيم عثمان: جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي- مكتبة المعارف- الرياض- ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- مروان الكجك: الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون- دار الكلمة الطبية- القاهرة- الطبعة الثالثة- ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- مصطفى سبيتي: شرح ديوان أبي الطيب المتنبي.
- ناصر العمر: البث المباشر.
- النوي: شرح مسلم- تحقيق: عبدالله أحمد أبي زينة- دار الشعب- القاهرة.
- وحيد الدين خان: المرآة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية- ترجمة السيد رئيس أحمد الندوي- دار الصحوة ودار الوفاء- ١٩٩٤م.
- وليد فتح الله مصطفى بركات: دور الراديو في معالجة القضايا والمشكلات السلوكية في المجتمع المصري- رسالة ماجستير.
- يوسف القرضاوي: الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- يوسف القرضاوي: الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- يوسف القرضاوي: الحل الإسلامي (فريضة وضرورة)- مؤسسة الرسالة.
- يوسف القرضاوي: بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين- مؤسسة الرسالة.
- يوسف القرضاوي: تيسير الفقه للمسلم المعاصر- مكتبة وهبة.
- يوسف القرضاوي: فتاوى معاصرة.